

عمر المختار

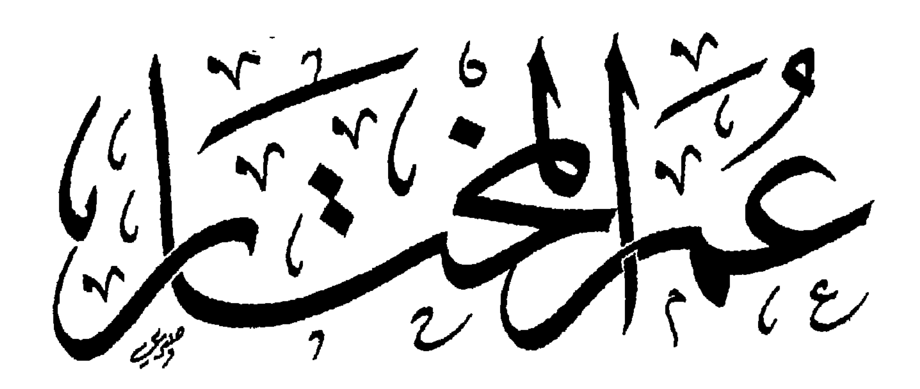
شهيد الإسلام، وأسد الصحراء

أنشودة الجنود الإيطاليين

أنا ذاهبٌ إلى ليبيا فرحاً مسروراً
لأبذل دمي في سبيل سحق الأمة
الملعونة، ومحو القرآن !.. وإذا مت
يا أماه فلا تبكيني !.. وإذا سألك أحد عن
عدم حدادك فقولي: لقد مات وهو يحارب الإس

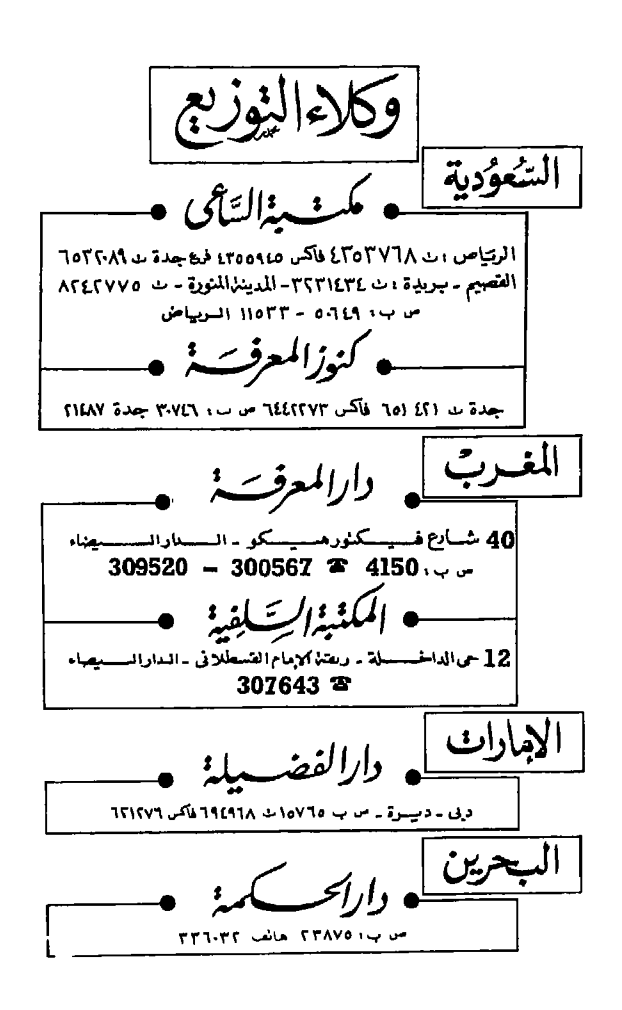


محمد محمود إسماعيل



شهيد الإسلام وأسد الصحراء

مكتبة القرآن
للطبع والنشر والتوزيع
٤٠ شارع رشدى - عابدين - القاهرة
تليفون ٣٩١٨٦٩١٠ - فاكس ٢٤٨٠٤٨٣٠



وكلاء التوزيع

السعودية

مكتبة الساعي

الرياض : ت ٤٣٥٣٧٦٨ فاكس ٤٣٥٥٩٤٥ فرع جدة ت ٦٥٣٢٠٨٩
القصيم - بريدة : ت ٣٢٣١٤٣٤ - المدينة المنورة - ت ٨٢٤٢٧٧٥
ص ب : ٥٠٦٤٩ - ١١٥٣٣ الرياض

كنوز المعرفة

جدة ت ٦٥١ ٤٢١ فاكس ٦٤٤٢٢٧٣ ص ب : ٣٠٧٤٦ جدة ٢١٤٨٧

المغرب

دار المعرفة

40 شارع فيكتور هيكو - الدار البيضاء
ص ب : 4150 ☎ 300567 - 309520

المكتبة السلفية

12 حي الداخلة - زنقة الإمام القسطلاني - الدار البيضاء
☎ 307643

الإمارات

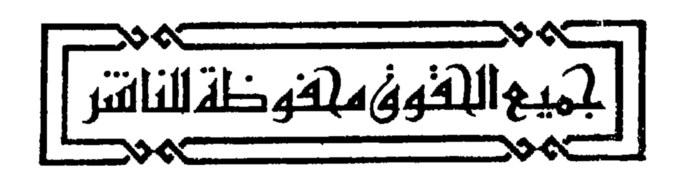
دار الفضيلة

دبي - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٩

البحرين

دار الحكمة

ص ب : ٢٣٨٧٥ هاتف ٣٣٦٠٣٢




الإهـــداء
إلى ابنى أحمد
وإلى كل من يترسمون
طريق المجاهدين الخالدين


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أبناؤنا الأعزاء

نقدم إليكم قصة **عمر المختار** ، إحدى قصص الكفاح العربى الخالد ، يظهر فيها الإيمان الصادق ، والوفاء للوطن ، والإخلاص فى العمل ، والتضحية فى سبيل الحرية .

نقدمها إليكم للعلم بها ، والسير على نهجها ، راجين أن تظل فى أذهانكم دائماً ، تضىء لكم طريق الحياة .

المؤلف

أنشودة الجنود الإيطاليين !

أنا ذاهب إلى ليبيا فَرِحًا مسروراً ..
لأبذل دمى فى سبيل سحق الأمة الملعونة ، ومحو القرآن !
وإذا مِتّ يا أماه فلا تبكينى !
وإذا سألك أحد عن عدم حِدَادِك فقولى :
لقد مات وهو يحارب الإسلام !

[من الأدب الإيطالى]

(التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية للدكتور أحمد شلبى جـ ٤)





مولده ونشأته

مَن لليتيم يرعاه ؟!

ولد فى « **البطنان** » ببرقة عام ١٨٦٢ م ، من أبوين صالحين ، ووالده السيد مختار ابن عمر ، من قبيلة « **المنفة** » ، وقد توفى أثناء سفره إلى الحج ، فأوصى أحد رفاقه بولديه عمر ومحمد ، وكانا يقيمان « **بزنزور** » ، يدرسان بزاويتها .

مواهبه الخاصة :

ثم ذهب عمر إلى زاوية « **الجغبوب** » لإتمام دراسته ، ومكث بها ثمانية أعوام ، وقد ظهرت صفاته الخلقية السامية ، فأحبه شيوخ السنوسية وزعماؤها ، وتمتع بعطفهم ، ونال ثقتهم ، ولذلك اصطحبه السيد محمد المهدى السنوسى معه عندما انتقل إلى **الكفرة** عام ١٨٩٥ م ، وكان محل ثقته ، وتمنى أن يحقق أمله .

الشيخ الجليل :

وفى عام ١٨٩٧ م عينه السيد المهدى شيخاً لزاوية (**القصور**) بالجبل الأخضر ، وكان يقطن بها قبيلة العبيد ، الذين عرفوا بشدة قوتهم ، وعدم طاعتهم لأحد ، فاختير لهذه الزاوية ليتعامل معهم باللين تارة ، وبالعنف تارة أخرى ؛ فحقق ما أراده السيد المهدى بإرادته الحازمة .

ثم ذهب مع السيد المهدى عندما انتقل إلى السودان الغربى ، إلى « **قـرو** » ؛ ليسهم فى النضال الذى حدث بين السنوسيين والفرنسيين فى المناطق الجنوبية ، وحول « **وادای** » .

المهمة الكبيرة :

ثم عينه السيد المهدى شيخاً لزاوية « **عين كلك** » ، وقد استمر بالسودان الغربى

وقتاً طويلاً ، وكان نائباً عن السيد المهدى ، يعلم أبناء المسلمين ، وينشر الإسلام فى هذه الأماكن البعيدة .

استدعاء :

بعد وفاة السيد المهدى عام ١٩٠٢ م استدعى إلى برقة ، وفى العام التالى عين شيخاً لزاوية القصور ، فبذل جهداً كبيراً فى حكم قبيلة العبيد ، وسياسة شئونها ، حتى انقادت له .

وهده إحدى مواهبه الخاصة ، فقد حصته الأقدار بالحكم بالإرادة الحازمة ، ولذلك استطاع أن يخضع هده القبيلة العاتية له ، ويجعلها تمضى على نظام ثابت مستقر ، بعد أن حارت فيها السلطات الرسمية ، وذلك لأن روح الرجل روح قوية ، تؤثر سريعاً فى كل من رآها ، أو حالطها ، أو عمل معها ، وقد لازمته هذه الروح طول حياته .

شكر وتقدير :

وقد شكرته الحكومة العثمانية على هذا النجاح ، وعلى استقرار الأمور فى « **القصور** » لأن العثمانيين كانوا عاحزين عن إخصاعهم لسلطانهم ، فظلوا فى « **برقة** » يلجئون إليه ليساعدهم فى جمع الد ائب

عمر يلبى نداء الجهاد :

وبقى عمر المختار فى زاوية القصور إلى ان نشبت الحرب الليبية الإيطالية فكان من أوائل الذين لبُّوا نداء الجهاد .

وكان عمر المختار وقت نزول الطليان فى « **بنغازى** » عام ١٩١١ م بواحة « **جالو** » ، فأسرع إلى « **القصور** » ، وخرج بنجدة عظيمة من العبيد إلى مقر الجيش العثمانى فى « **الرحمة** » ، ثم اشتبك مع الطليان فى معارك عدة ، فهاجمهم فى « **بنغازى** » ، واستمر على التنقل بين « **القصور** » و« **تكنس** » حتى احتل الطليان هذه الأماكن فى سبتمبر عام ١٩١٣ م .

وبعد دلك قاد عمر المختار المجاهدين فى معسكرات جبل العبيد ، وعهد إليه السيد إدريس السنوسى بمهمات عدة ، واتخذ منطقة « **دفنا** » مجالاً لنشاطه الواسع بين القبائل .

وعندما اشترك « **السيد أحمد الشريف** » فى غزو الحدود المصرية العربية ، ووقعت المصادمات بين العرب والإنجليز .. أسهم فى هذه العمليات العسكرية ، ثم لازم السيد إدريس السنوسى لتلقى أوامره .

وهكذا أثبت عمر المختار أنه القائد دائما ، السباق إلى الجهاد دائماً .

توحيد الصفوف ضد إيطاليا :

وفى يونيو عام ١٩٢٢ م كان من أكبر الساعين فى تأليف جبهة متحدة تضم البرقاويين والطرابلسيين من أجل النضال ضد إيطاليا . وعندما قرر السيد إدريس السنوسى مغادرة « **برقة** » عهد بقيادة المجاهدين العليا إلى السيد عمر المختار ، فجعل مقره فى الجبل الأخضر ، وظل فيه حتى استشهد فى الساعة التاسعة من صباح يوم الأربعاء الموافق ١١ من سبتمبر عام ١٩٣١ م ، وذلك عندما نفذ الطليان فيه حكم الإعدام شنقاً .

هذا هو عمر المختار !

ومن هذا يتبين أن الرجل كان يعلم كثيراً من أمور دينه ، وأخذ يعلم الناس كما علمه الله ؛ فكان داعيةً كبيراً ، يدعو إلى الإسلام بالإقناع والتوجيه اللطيف ، فهو أستاذ فى هذا الفن .

كما يتبين أنه كان مجاهداً مخلصاً ، وقائداً حكيماً ، محباً لوطنه ، مضحياً فى سبيله .

وسنوضح لك هذا فى الفصول التالية فى هذا الكتاب .





إخلاصه وكرم أصله

جهاد حتى الموت !

هناك موقف يدل على أصل هذا الرجل الكريم ، فقد أراد العودة إلى برقة للجهاد ، ولكن مشايخ قبيلته حاولوا منعه عن ذلك ، لكبر سنه ، ولأن الراحة والهدوء لازمان له ، ولأن السنوسية تستطيع أن تجد قائدا غيره ، فغضب غضباً شديداً ، وقال لمحدثيه : إن ما أسير فيه هو طريق الخير ، ومن يبعدنى عنها فهو عدو لى ، ولا ينبغى لأحد أن ينهانى عنها .

وهذه الكلمات تدل على نفسية عمر المختار ، وأنه كان يريد أن يقاتل ويقاتل حتى يستشهد ، ويلقى الله شهيداً ، وهذه نفسية المؤمن المخلص الصادق ، الذى يخلص لبلاده ، ويضحى فى سبيلها لتحقق أهدافها .

وقد جاء وفد من شيوخ قبيلته ، ضعاف العزيمة ، يائسين من الجهاد ، فقابلهم بقلبه الحى المشتعل ، وعرفهم أن الحياة فى الجهاد والاستشهاد ، وأن الحياة الساكنة الضائعة هى الموت البطىء .

وقد ظل طوال سنوات الكفاح متمسكاً بقيمه ومبادئه ، ويعمل لما فيه خير الجهاد والمجاهدين ببرقة ، وكان يؤمن إيماناً قوياً بأن هذا الجهاد فرض يجب أن يؤديه كل إنسان ، وواجب دينى لابد منه .





محاربته الفرنسيين

الإمارة الجديدة فى قلب إفريقيا :

ورث السيد محمد المهدى السنوسى الخلافة عن أبيه أربعين عاماً تقريباً .

وكانت الدعوة السنوسية تستند إلى دعامتين قويتين فى انتشارها : **إحداهما** : روحية ، وهى القائمة على الوعظ والإرشاد ، والعمل بالقرآن الكريم والأحاديث الشريفة .

والدعامة الثانية : مادية ، وكان أساسها تعلم الرماية ، وإتقان أساليب القتال .

وكان الرجل شديد العزم على إتمام ما بدأه أبوه ، فأكثر من إنشاء الزوايا ، وإرسال الدعاة والمبشرين إلى أواسط أفريقيا ، وبذلك نشرت السنوسية سلطانها الروحى على هذه الأقاليم ، فقويت أركان الإمارة الجديدة فى قلب إفريقية .

حملة الأطماع الغربية والبعثات التبشيرية ضد السنوسية :

وكان هذا عقبة كبيرة فى طريق الإرساليات المسيحية التبشيرية ، لأنها وجدت فى السنوسيين خصوماً عنيدين ، وأنهم عطلوا أعمالها لدرجة بعيدة .

كما صار هذا يقلق دول الاستعمار الغربية ، خصوصاً بعد أن قويت منافسة بعضها بعضاً من أجل اقتسام الدول الإفريقية .

فبدأت هذه الدول حملة دعاية كاذبة ضد السنوسية ، ووصفوها بكل سوء .

ثم شكوا السنوسيين إلى السلطان العثمانى عبد الحميد ، وضغطوا عليه ليستدعى السيد المهدى من إفريقية ، ولا يعيده إلى وطنه ، ولكنه لم يستجب لهم .

وعندما رأى السيد محمد المهدى أن « **الجغبوب** » أصبحت موضع أنظار الجميع ، وأن السلامة تقضى بالانتقال إلى مكان أكثر أمناً منها ، قرر الانتقال إلى « الكفرة »

محاولات يائسة وجهود فاشلة !

وقد أخذت هذه الدول تبذل كل جهودها للإقلال من نشاط السيد محمد المهدى ، إما عن طريق الباب العالى ، وإما بالاتصال به مباشرة ، ومحاولة استمالته نحوها ، ولكنها فشلت فى ذلك .

بعد ذلك اتهمت هذه الدول السوسية بأنها ترغب فى تأسيس ملك قوى ، ينازع دولة الخلافة السيطرة والسلطان على العالم الإسلامى الواسع ، لتقوم فتنة بين المسلمين ، ويقضى على السوسية .

الخطر القادم من فرنسا !

وقد زاد الخطر الفرنسى ، وواصل الفرنسيون زحفهم على الإمارات الإسلامية فى إفريقية الغربية وأحس السيد محمد المهدى أن الفرنسيين عزموا على الكيد له ، بعد أن تبيسوا انتشار دعوته فى مستعمراتهم الإفريقية ، فقرر الانتقال إلى مكان قريب من هذه العمليات الخطيرة ، فانتقل إلى راوية « **قرو** » فى « **برتو** » ، وخرج معه ابن أخيه السيد أحمد الشريف وغيره ، وذلك ليكون على مقربة من الصراع الذى كان مشتداً بين قوات فرنسا وبين السوسيين .

عمر فى مواجهة فرنسا !

تقدم الفرنسيون ناحية « **كانم** » ، واستعد السنوسيون لمقابلتهم ، فوضعوا حامية كبيرة فى « **بير العلالى** » ، وكلف السيد المهدى ابن أخيه السيد أحمد الشريف بإدارة الحرب ضد الفرنسسيين ، واشترك فى القتال قواد متفوقون من السنوسيين ، وكان من بينهم قائد أصبح له صيت وشهرة عظيمة ، وهو السيد عمر المختار .

وكان الجهاد الحقيقى بين السنوسيين والفرسيين فى « **التبستى** » ، وأظهر السنوسيون فى هذا النضال تحملاً وعزيمة قوية ، واستطاعوا أن يكبدوا الفرنسيين خسائر فادحة .

ولكن الفرنسيين استطاعوا أن يحققوا انتصارات هامة ، بفضل أسلحتهم الحديثة وقواتهم المتدفقة .

ثم خفت حدة الجهاد بعد ذلك ، وأرغم السنوسيون على ترك النضال ضد الفرنسيين فى النهاية .



محاربته الإيطاليين

فى مواجهة البوارج القادمة من إيطاليا !

ظهرت بوارج الأسطول الإيطالى فى مواجهة « **طرابلس** » يوم السبت الموافق ٢٠ من سبتمبر سنة ١٩١١ م فرفضت طرابلس التسليم ، فشرعت البوارج تضرب قلاعها بالقنابل يوم الثلاثاء الموافق ٣ من أكتوبر ، ولكن القلاع سلمت بعد قليل ؛ لأنها كانت قديمة ومجردة من أسباب المقاومة .

ووصلت هذه البوارج إلى مدينة « **بنى غازى** » يوم الأربعاء الموافق الرابع من أكتوبر عام ١٩١١ م وطلب قائدها من حاميتها التسليم ، فرفضت ، ومن أول الأمر قاوم العرب الإيطاليين مقاومة شديدة ، وهزموهم فى مكان يقال له « **الصابرى** » .

واشتبك العثمانيون مع الطليان فى معركة حامية تعرف باسم « **وقعة جوليانة** » ، ولكن العثمانيين لم يصمدوا أمام الطليان ؛ لأن سفنهم الحربية استمرت تضرب بنغازى بمدافعها من البحر ، فانسحبت الحكومة ومعها العدد الأكبر من مكان « **العزيزية** » إلى الضاحية ، ورابطت فيها استعدادا للمقاومة ، فأنزل قائد البوارخ بعض قواته فاستولت على المدينة .

الاستيلاء على سواحل ليبيا :

وقد استطاع الإيطاليون فى مدة قصيرة أن يسيطروا على ساحل ليبيا بدون مقاومة ، لعدم وجود قوة بحرية تركية تقاومهم ، أو تقف فى طريقهم ، ولعدم وجود قلاع فى الموانى تحميها ، وتصد عنها المعتدين ، لأن الحكم العثمانى جردها من جميع وسائل الدفاع ، وتركها خاوية خالية .

مفاجأة أفقدت الإيطاليين صوابهم !

وقد فاجأت قوة من الفدائيين كتيبة إيطالية كانت ترابط فى « **المنشية** » ، ففتكت

بها وأبادتها ، فجُنَّ الإيطاليون ، وأرسلوا قوات كبيرة ، فنكلت بسكانها ، وذبحت الشيوخ والأطفال ، وفتحت بطون النساء ، وارتكبوا فظائع يخجل منها الإنسان .

القتال يشتد والموقف يتبدل :

واشتد القتال بين الإيطاليين والليبيين فى أنحاء ليبيا ، ووقف المجاهدون من أبناء البلاد أمام الإيطاليين وقفة صامدة ، والزموهم أماكنهم تحت حماية أسطولهم فلا يتعدونها . وقد تبدل الموقف بسرعة ، عندما انتشر فى البلاد خبر اعتداءات الطليان على برقة وطرابلس ، ودعا الزعماء السنوسيون فى بنغازى وغيرها شيوخ الزوايا للجهاد ، فقد وقع عليهم عبء الدفاع عن البلاد التى نشأت فيها دعوتهم ، وكانت مقر إقامتهم .

قصة كفاح استمرت ثلاثين عاماً !

احتشدت جموع السنوسيين فى ميادين القتال الشمالية ، خصوصاً فى « **برقة** » ، وبدأ النضال الذى استمر مدة الثلاثين عاما التالية ، وتحمل السنوسيون فى أثنائه أعظم التضحيات . وكان فى مقدمة الذين أسرعوا لنجدة العثمانيين فى برقة السيد عمر المختار ، فقد كان – رحمه الله – يزور السيد أحمد الشريف زعيم السنوسية فى « **الكفرة** » ، وفى أثناء رجوعه إلى زاويته « **القصور** » بلغه نبأ نزول الطليان فى « **بنغازى** » ، واحتلالهم لها ، وفور وصوله إلى « **القصور** » أمر قبيلة العبيد المنتسبة لهذه الزاوية بالاستعداد للحرب ، ثم تبع السيد عمر المختار شيوخ الزوايا .

واستمر السنوسيون بعد ذلك بقيادته يضيقون الخناق على العدو ، خصوصاً عند « **بنينة** » .

ومنذ مجىء الطليان إلى ليبيا إلى أن خرجوا منها مهزومين خط السنوسيون قصة كفاحهم بدمائهم ، وأقاموا الدليل على أن الشعوب التى تعتز بعقائدها وتقاليدها وقوميتها لا يمكن فناؤها .



استمراره فى محاربة الإيطاليين رغم تسليم تركيا ليبيا لإيطاليا

العثمانيون والإيطاليون :

دخل العثمانيون فى مفاوضات للصلح مع إيطاليا ، ولم تؤثر رغبة المجاهدين الليبيين فى تعطيلها أو وقفها ، رغم أنهم هم الذين أرغموا إيطاليا صاحبة الأسلحة الحديثة على البقاء بالسواحل ، وعدم الجرأة على التوغل فى الداخل .

وقعت معاهدة الصلح بين تركيا وإيطاليا فى « **أوشى لوزان** » ، فى ١٨ من أكتوبر عام ١٩١٢ م ، وبذلك توقفت الحرب بينهما ، وسحبت تركيا جنودها من ليبيا ، وأرسل السلطان العثمانى منشورًا إلى سكان طرابلس العرب وبرقة ، ودعاهم فيه إلى الخضوع لإيطاليا ؛ لعجز حكومته عن مساعدتهم .

وأرسل ملك إيطاليا منشوراً يقول فى مقدمته « **إنه عملا بالقانون رقم ٣٨ الصادر فى ٢٥ من نوفمبر عام ١٩١٢ م ، والذى يجعل طرابلس الغرب وبرقة خاضعتين خضوعاً تاماً مطلقاً للسيادة الملكية الإيطالية ، ورغبته فى التعجيل بإعادة السلم إلى هاتين المقاطعتين يمنح عفوا عاماً شاملاً للطرابلسيين والبرقاويين الذين اشتركوا فى الحرب** » .

دعوة إلى التسليم وعدم المقاومة !

وأرادت تركيا استثارة شعور العرب ، فأرسلت إليهم نائبا عن السلطان اسمه شمس الدين باشا وفور وصوله أعلن ميله إلى إيطاليا ، ودعا العرب إلى التسليم وعدم المقاومة .

انقسم الليبيون قسمين : **قسم** يرى استمرار الحرب ضد إيطاليا ، **وقسم** يرى مفاوضة إيطاليا ، وذلك بناء على الاستقلال الذى منحه سلطان تركيا لطرابلس بمقتضى هذه المعاهدة .

لم يضعف استسلام الحكومة العثمانية المجاهدين الليبيين ، فقد ألفوا الحرب ضد

الطليان ، والانتصار عليهم ، والفوز بالغنائم الوفيرة ، واستقل كل قطر بإدارة حركة الجهاد .

إنشاء دولة مستقلة فى طرابلس :

عقد زعماء المجاهدين اجتماعات بعد جلاء الترك ، وأنشئوا دولة مستقلة فى طرابلس الغرب ، وتولى رئاستها « **الشيخ سليمان البارونى** » ، وأبلغ نائب السلطان نبأ الاستقلال ، وقيام الدولة الجديدة .

وبعد قيام الحرب العالمية الأولى قررت الحكومة العثمانية مساعدة السنوسيين ، وهذا جعل ليبيا ميداناً للحرب تشنها على الدول المتحالفة الغربية .

وأراد « **أنور باشا** » أن يغادر ليبيا ، وقبل مغادرتها زار السيد أحمد الشريف فى « **الجغبوب** » ، وأبلغه أوامر الخليفة العثمانى ، وقال له : إن رغباته هى : إسناد أمر الأمة الليبية إلى سيادته ، وإخباره بأن الخليفة قد منح الأمة الطرابلسية استقلالها ، تاركاً لها الحق فى أن تقرر مصيرها ، وتدافع عن نفسها .

فكان هذا دعما نهائيا للإمارة السنوسية المستقلة ، واعتبر السيد أحمد الشريف نفسه مسئولاً أمام الله والناس عن القطر الليبى كله .

وقد وافق السيد أحمد الشريف على تسليم القيادة العامة فى برقة إلى عزيز المصرى بك ، فذهب إليه فى الجغبوب ليشكره على هذا التنسيق ، وصحبه فى هذه الزيارة السيد عمر المختار .

حرب حتى النصر !

لم يتوقف جهاد الليبيين ضد الإيطاليين ، وظل يشرف عليه السيد أحمد الشريف ، ويقود عملياته العسكرية عزيز المصرى بك .

وقد حاول الإيطاليون أن يمنعوا القائد الجديد عن مواصلة الكفاح ، فرفض التسليم ، وقرر الاستمرار فى الجهاد إلى النهاية .

عمر المختار يظهر مقدرة فائقة !

وكان من بين المجاهدين معه السيد عمر المختار ، الذى أظهر فى هذا الكفاح شجاعة نادرة ، ومقدرة كبيرة على القتال ، إيماناً بحق وطنه فى تطهيره من المستعمرين .



تسلمه قيادة المجاهدين

التحام :

استأنف عزيز المصرى العمليات العسكرية فى برقة ، وكان يؤديها بكل جد واهتمام ، وفى نفس الوقت قررت إيطاليا احتلال « **الجبل الأخضر** » ، والتحم الطليان مع المجاهدين فى معارك متعددة .

وفى ١٦ من مايو عام ١٩١٣ م حصلت فى الجبل الأخضر واقعة يوم الجمعة المشهورة ، وهى الواقعة التى اشترك فيها السيد أحمد الشريف مع القبائل ، وساهم فيها الضباط العثمانيون ، وانهزم الطليان وارتدوا إلى « **درنة** » ، وبسبب هذا النصر أصبح للسيد أحمد الشريف شهرة واسعة ، واعتقد الليبيون أن قوة إلهية هى وحدها التى أعطته هذا النصر !

صعوبات ونجدة !

ولكن سرعان ما أحاطت الصعوبات الشديدة بالمجاهدين ، وذلك لانقطاع الذخائر والمؤن وغيرهما عنهم ، ولضغط إيطاليا الشديد على تركيا لتأمر باستدعاء قواتها من ليبيا ، ولتكف عن مساعدة المجاهدين ، ولمحاولة إيطاليا صرف الحكومة المصرية عن إمداد المجاهدين بما يحتاجون إليه من أسلحة ومؤن ، وكان الشعب المصرى من أسبق الشعوب إلى نجدة المجاهدين ومساعدتهم .

أصابع الاستعمار !

وكانت الحكومة التى فى مصر حينئذ حكومة إنجليزية ، فقامت بأعمال متعددة أدت إلى إضعاف قوة المقاومة ضد الإيطاليين فى ليبيا .

وأذنابه :

وسّط الإيطاليون الخديوى عباس الثانى لإقناع السنوسيين بضرورة ترك الكفاح ،

وليجزل لهم الوعود الطيبة إذا قبلوا ذلك ، ولكن السيد أحمد الشريف أصرّ على ضرورة جلاء إيطاليا عن ليبيا كلية قبل التفاهم ؛ ففشلت هذه الوساطة .

ثم ساءت العلاقات فى معسكر المجاهدين بين القائد العام « **عزيز بك المصرى** » وبين العرب ، ونتج عن ذلك حوادث يؤلف لها وتطورت المواقف !

فقد أمرت الحكومة التركية عزيز المصرى بالعودة إلى تركيا ، فأراد الليبيون أخذ الأسلحة التى كانت معه ، فرفض عزيز المصرى ذلك ، وذلك بناء على انعقاد الصلح بين تركيا وإيطاليا ، فلم يقتنع المجاهدون بوجهة نظره ، وأرسل السيد أحمد الشريف السيد عمر المختار لأخذها بالقوة .

وقبل وصول عمر المختار كان المجاهدون قد أطلقوا الرصاص على الجند الأتراك المسلحين ، فصمدوا لهم ثم نشبت معركة حامية بين الطرفين وأسرعت جموع المجاهدين للانتقام من عزيز المصرى وعسكره ، ولكنه استطاع أن يصل سالماً إلى السلوم ثم إلى الإسكندرية ثم إلى الآستانة !

الخطر يحدق بالبلاد !

بعد انسحاب عزيز المصرى أصبحت البلاد خالية من وسائل الدفاع ، ومعرضة لهجوم العدو ، ورغم هذه الظروف الصعبة ثبت السنوسيون أمام الإيطاليين ، ثم أسندوا قيادة المجاهدين إلى السيد عمر المختار .

عمر المختار يتولى قيادة الجيش الوطنى !

لم يتردد هذا البطل المغوار فى قبول هذه القيادة ، فشكل جيشاً وطنياً ، وجعل من خطته التزام الدفاع والتربص بالعدو ، حتى إذا خرج الطليان من مراكزهم انقض المجاهدون عليهم ، فأوقعوا بهم شر القتال ، وغنموا منهم ما يحتاجون إليه من أسلحة وعتاد ودواب النقل ، وظل الحال على هذا المنوال حتى نشبت الحرب العالمية الأولى فى أغسطس عام ١٩١٤ م .

بقى السنوسيون يديرون دفة الحرب وحدهم ، فوزعوا جنودهم النظاميين فى مناطق مختلفة ، حتى يجمعوا حولهم القبائل العربية ضد الإيطاليين الذين كانوا قد فصلوا برقة عن طرابلس ، وأنشئوا لكل من الإقليمين حكومة منفصلة منذ سبتمبر عام ١٩١٣ م .

خطة جديدة !

اتخذ السنوسيون خطة مفاجأة المعسكرات الإيطالية ، وإشعال الثورة فى الجهات التى يحتلها الطليان ، فاضطر الطليان إلى تقسيم قواتهم إلى جماعات ، وذلك استعدادا لمقابلة هجوم المجاهدين ، وللإغارة على مراكز العرب فى الجهات التى دخلت فى حوزة الإيطاليين ، وعلى ذلك اشتبك الإيطاليون مع المجاهدين فى جملة معارك بدأت من فبراير عام ١٩١٤ م .

وأمل جديد !

ولكن اشتعال الحرب العالمية الأولى أدخل تغييرا كبيرا على الموقف فى برقة ، وأحيا آمال السنوسيين فى القدرة على مواصلة الكفاح بنجاح ضد إيطاليا .



إقامة السيد إدريس السيد عمر المختار مقامه عند سفره إلى القاهرة

مآرب وأطماع !

فى الحرب العالمية الأولى أسرعت تركيا بالدخول إلى جانب ألمانيا ، وانحازت إيطاليا إلى الدول المتحالفة فى مارس عام ١٩١٥ م ، وذلك لتحقيق مطامعها فى إفريقية الشمالية ، وهكذا وجد الأتراك أنفسهم فى نزاع جديد مع إيطاليا ، وعندئذ قرروا استئناف النضال فى الأقطار الليبية .

وقد دفع الأتراك إلى ذلك رغبتهم فى اتخاذ برقة ميداناً لإرسال جيش لغزو مصر ، ولاتفاقهم مع الألمان على غزو مصر من حدودها الغربية ، وذلك لتسهيل تنفيذ مآربهم .

وحضرت رسل تركيا وألمانيا إلى ليبيا ، وقابلت السيد أحمد الشريف ، وطلبت منه أن يشترك معهم فى الهجوم على حدود مصر الغربية .

الزحف على حدود مصر !

ولم يكن من رأى أحد فى ليبيا مهادنة إيطاليا ، ومحاربة إنجلترا التى كانت علاقتها مع ليبيا على أحسن حال ،وبعد تردد طويل قرر « **السيد أحمد الشريف** » الاشتراك مع العثمانيين والألمان فى الزحف على حدود مصر الغربية ، فأرسل قوة واحتلت « سيوة » ، وسار هو نفسه بالجيش للهجوم على « **السلوم** » ، وكان معه قائدان تركيان ، فتقهقر الإنجليز داخل الحدود ، وتقدم القائد العثمانى « **نورى** » بالجيش ، حتى وصل إلى غربى مرسى مطروح .

حرب العصابات !

عندئذ جهز الإنجليز جيشاً لقتالهم ، فقامت المعارك بين الفريقين ، وساهم فيها محمد صالح حرب قومندان مرسى مطروح بنصيب وافر ، وأدار حرب العصابات ضد الإنجليز ، فاضطروا إلى وضع خطة عسكرية للقضاء عليها نهائياً .

المجاعة تهدد برقة !

فشل المجاهدون تحت زعامة السيد أحمد الشريف على أيدى الإنجليز ، وأصبحت

برقة تعانى كثيراً من انتشار المجاعة بها عام ١٩١٥ م ، وقد هددت هذه المجاعة البلاد بالفناء العاجل .

تنازل السيد أحمد الشريف عن الزعامة إلى السيد إدريس السنوسى ، ووافق على أن يبدأ المفاوضات مع الإنجليز لإنقاذ البلاد مما هى فيه .

التفاوض مع الإنجليز والإيطاليين !

اشترط الإنجليز ضرورة اتفاق الليبيين مع الطليان قبل اتفاقهم معهم ، وقد قبل السنوسيون ذلك لظروف البلاد القاسية ، وحدث اتفاق مبدئى بين السنوسيين والطليان ، وبينهم وبين الإنجليز ، ويسمى هذا الاتفاق بمعاهدة « **الزويتينة** » .

قصد السيد « **محمد إدريس** » من هذا الاتفاق تحسين الأحوال الاقتصادية للبلاد ، والمحافظة على أنظمة الشرع الحنيف ، وعلى الثقافة العربية ، ونشر الأمن والسلام فى برقة ، واستراحة الأهلين .

اقتضت مصلحة البلاد إنشاء الحكومة الوطنية المنظمة ، والتى يسيطر على شئونها السيد إدريس ، وقد استطاع بحكمته أن يقر السلام فى القطر البرقاوى ، ولقبه الأهلون بالمنقذ ، بينما كانت الأحوال فى طرابلس على عكس ذلك .

انسحاب وإنشاء جمهورية مستقلة !

انسحب الأتراك نهائياً من طرابلس فى ختام الحرب العالمية الأولى ، واتفقت كلمة زعمائها وقادتها على إعلان استقلالها ، وعلى إنشاء جمهورية مستقلة لها ، على أن يتولى إدارتها مجموعة مختارة من الزعماء ، واتخاذ « **غريان** » عاصمة لها .

وساطات ودسائس !

بدأت الوساطات للتوفيق بين إيطاليا والطرابلسيين ، ولكنها فشلت ، واستؤنف القتال بينهما ، ثم اتفقوا على منح طرابلس استقلالا داخليا إداريا ، ووقعوا دستورا للحكومة الجديدة ، وقد نَصَّ فيه على أن إيطاليا تعين الحاكم العام لطرابلس .

دأب الإيطاليون على دس الدسائس للقضاء على الروح الوطنية فى البلاد ، وحكمها حكما استعماريا ، فعقد الطرابلسيون مؤتمراً فى « **غريان** » ، وقرروا إرسال وفد إلى روما لمفاوضة رجالها فى الحالة ، كما قرروا إرسال وفد إلى السيد إدريس السنوسى للتفاهم معه بشأن توحيد حركة الجهاد فى القطرين .

وضع ميثاق وطني !

تقابل الوفد الذى انتدبته حكومة « **غريان** » مع وفد سنوسى فى « **سرت** » ، واتفق الوفدان على وضع ميثاق وطني ، وتعهد القطران باحترامه وتنفيذ أحكامه ، وتعاونهما فى السراء والضراء فى مقاومة العدو مغتصب البلاد ، فيجب أن يكون عدوهما واحداً وصديقهما واحداً . فرأوا أن مصلحة الوطن تقضى بتوحيد الزعامة فى البلاد .

وقد رحب الليبيون بهذا الميثاق ، واعتبروه خطوة فى سبيل جمع الكلمة لمقاومة الاحتلال الإيطالى الظالم .

اتحاد وبيعة جديدة !

وقد انتدب وفد من طرابلس للسفر إلى « **جدابيا** » ؛ وحمل معه كتاب بيعة مؤتمر « **غريان** » للسيد إدريس السنوسى ، واختياره أميراً محبوباً للقطرين ، قطر طرابلس وقطر برقة ، وبذلك أصبح الأمير أميراً للقطرين اللذين اتحدا للمرة الأولى بعد انسحاب الترك .

كَبر على روما أن يتحد القطران ، وأن يتفقا على بيعة السيد إدريس ، فطلب الإيطاليون منه عدم قبول بيعة الطرابلسيين ، ورفض كل تعاون معهم ، فاعتذر بأن هذا ليس فى استطاعته ، فزاد حقدهم عليه ، ورغبتهم فى التخلص منه .

محاولة للتخلص من السيد إدريس السنوسى :

وأرادت إيطاليا التخلص من السيد إدريس السنوسى لتنفيذ سياسة موسولينى ، وكانت تهدف إلى تحويل ليبيا إلى وطن إيطالى ، والقضاء على كل أثر للعرب فيه .

وطلب الإيطاليون من السيد إدريس جمع السلاح من أيدى العرب ، فرد عليهم بأن هذا مستحيل ، لأن العربى يفضل سلاحه على روحه .

ثم بدأت المناوشات بين الطرفين ، ورأى السيد إدريس الذى كانت صحته تزداد سوءا أنه فى حاجة إلى التداوى ، فغادر مقره فى الجبل الأخضر سراً ،وذهب إلى القاهرة فى سنة ١٩٢٢ م للاستشفاء ، ولطلب المساعدة من مصر .

عمر المختار ينوب عن السنوسى !

وأقام السيد إدريس السنوسى عند سفره إلى القاهرة السيد عمر المختار مقامه ، وكان من أكبر شيوخ الطريقة السنوسية ، وعظمائها البارزين ، فباشر الشئون السياسية والعسكرية ، كما أقام السيد إدريس السنوسى شقيقه السيد الرضا نائبا عنه فى الأمور الدينية والعائلية .



تعيين عمر المختار قائداً أعلى

عمر المختار يتولى الأعمال السياسية والعسكرية !

نظم الأمير السيد إدريس السنوسى خطة الجهاد فى كل من برقة وطرابلس قبل ارتحاله عن البلاد ، وعهد بالأعمال السياسية والعسكرية فى « **برقة** » إلى عمر المختار نائباً عنه ، على أن يتولى قيادة معسكرات المجاهدين جميعاً ، وأعطى الأوامر اللازمة لاستمرار الجهاد على أحسن حال .

وتوقف الجهاد فى طرابلس ، وانتهت ثورتها فعلاً ، واستتب الأمر للطليان فيها ، وأصبحت برقة تحمل عبء الجهاد وحدها ، فوقع العبء كله على السيد عمر المختار .

صعـوبات !

وقابلت عمر المختار صعوبات كثيرة ، وأولها أن والى برقة الجديد بدأ يحل المعسكرات التى فيها بالقوة ، فحل كثيرا منها .

غارات على عاصمة الإمارة !

وبعد سفر الأمير إلى مصر شن الإيطاليون غارة عسكرية على « **جدابيا** » ، وكانت عاصمة الإمارة السنوسية ، فاستولوا عليها بلا مقاومة ، وذلك لعدم إمكان الدفاع عنها .

وأعلن الوالى الجديد أن كل الاتفاقات التى عقدتها إيطاليا مع السنوسيين أصبحت لاغية ، وأن السنوسية أصبحت مجرد طريقة تشبه غيرها من الطرق الإسلامية ، وأن نشاطها يجب أن يظل دينياً محدوداً فقط .

وتحـركات !

وقابل الوزير الإيطالى الأمير السيد إدريس فى مصر ، وأبلغه أن الاتفاقات التى عقدتها إيطاليا مع سموه أصبحت لاغية ، ومن ذلك الوقت بدأ النضال شديداً فى برقة بين المجاهدين والطليان .

بعد إستيلاء الإيطاليين على « **جدابيا** » انسحب المجاهدون إلى الجنوب ، وانضم إليهم المغاربة ، ورابطوا حول زاوية « **القطوف** » واتخذوها قاعدة لمناوشة الإيطاليين ، وإقلاق راحتهم وشرعوا يوسعون دائرة عملياتهم حتى تشمل منطقة « **الجبل الأخضر** » بأكملها ، وذلك بقيادة السيد عمر المختار ، فلم ير الطليان بداً من محاربتهم .

حملة كبيرة !

أعد الإيطاليون حملة كبيرة هاجمت الزاوية ، فدارت معركة عنيفة بين الفريقين فى « **البريقة** » وكانت بقيادة « **الشيخ صالح الأطبوش** » ، و« **الشيخ الفضيل المهشهش** » ، وصمد المجاهدون لهذا الجيش الكبير ، وانتهت المعركة بانكسار الإيطاليين ورجوعهم ، وكان الفضل فى هذه المعركة للمغاربة ، فقد أظهروا من الشجاعة ما يفتخر به التاريخ .

خطة جديدة من ثلاث نقاط !

بعد هذه المعركة وصل السيد عمر المختار إلى الزاوية ، ودرس الموقف مع القادة ، فاتفقوا على تنفيد الخطة الآتية :

أن يأخذ السيد عمر المختار نفراً من المجاهدين ، ويذهب بهم إلى الجبل الأخضر ، ويتخذه قاعدة عسكرية ، وينشىء فيه مراكز لتدريب المتطوعين ، وقد نفذ السيد عمر المختار هذا ، وتوافد عليه الناس من كل ناحية .

نظم السيد عمر المختار معسكره ، وعين لكل قبيلة رئيسا منها ، واتفق الرؤساء على أن يكون السيد عمر قائدا عاما ، ورئيساً على كل المجاهدين ، كما اتفقوا على الجهاد حتى آخر نفس فى حياتهم ، أو تخليص وطنهم من العدو .

وقد ابتدأت هذه الحركة صغيرة ، ثم بلغت أشدها فى أقصر زمن ممكن ، فوجد الإيطاليون أنفسهم أمام جيش يهاجم حصونهم الخلفية ، ويغزو معاقلهم ، فأخذوا يفكرون فى ما يحفظهم من هذا الخطر .

يرابط الشيخ صالح الأطبوش فى « **البريقة** » ، ويتخذها قاعدة لمقاومة الإيطاليين .

تؤسس ثلاثة مراكز عسكرية : أمام « **درنة** » وفى « **شماسا** » « **داخل الجبل الأخضر** » ، وفى « **الحرجة** » .

انتــصار !

تواصل القتال بين المجاهدين وبين الإيطاليين ، وكانت معركة « **الرحيبة** » ومعركة « **عقدة المطمورة** » من أعظمها ، وانتهت كلهـا بارتداد الإيطاليين ، مما رفع منزلة السيد عمر المختار ، فالتفوا حوله ، وتعاهدوا على مناصرته .

لقاء فى مصر !

بعد استئناف القتال على نطاق واسع قرر السيد عمر المختار الذهاب إلى مصر ، لمقابلة الأمير ، لإطلاعه على ما وقع من حوادث ، ويتلقى تعليماته المفصلة بصدد الجهاد ، فاستطاع اجتياز الدولة فى منتصف عام ١٩٢٣ م ، وتمكن من مقابلة السيد إدريس بمصر الجديدة ، ووجد كل إعزاز وتكريم .





استئنافه المعارك ضد الإيطاليين

عــودة !

عاد عمر المختار من مصر إلى برقة عن طريق « السلوم » وكان مزوداً بتعليمات الأمير السيد إدريس لمواصلة الجهاد ، وكانت الخطة المتفق عليها هى إنشاء المعسكرات واختيار الرؤساء الصالحين لها ، وكانت مهمة السيد عمر المختار هى رئاسة هذه العمليات كلها ، أما مهمة الأمير فهى البقاء فى مصر لإمداد المجاهدين بالمساعدات .

الجاسوسية تتحرك !

أبلغ جواسيس الطليان رؤساءهم بأن عمر المختار اجتاز الحدود الشرقية ، فأعدوا كميناً لعمر المختار ورفاقه ، وكان مكوناً من ثلاث سيارات ، وكان الهدف القبض على عمر المختار وأسره .

محاولة فاشلة !

وبمجرد أن ظهر عمر المختار ورفاقه أطلق العدو عليهم مدافعهم الرشاشة ، ولكن المجاهدين صمدوا لهم ، وأصابوا عجلات السيارات ، وانقضوا على القوة الإيطالية فأفنوهم عن آخرهم .

ألقت هذه الهزيمة الساحقة الرعب فى قلوب الطليان ، واستطاع عمر المختار ورفاقه أن يتابعوا سيرهم حتى وصلوا إلى الجبل الأخضر ، ولم يجرؤ أحد من الطليان على تعقبهم مرة أخرى .

بداية النضال :

وبدأ النضال فى عامى ١٩٢٤ و ١٩٢٥ بوقوع معارك عدة ، ووسع المجاهدون

دائرة نشاطهم العسكرى فى الجبل الأخضر ، وعلى ذلك خف ضغط الطليان على إخوانهم فى معسكرات « **البرقتين** » .

عمر المختار يتألق :

لمع اسم عمر المختار ، وسطع نجمه كقائد بارع يتقن أساليب الكر والفر ، ويتمتع بنفوذ عظيم ، وأخذ العرب من أهل القبائل الساكنة فى الجبل ينضمون إلى صفوف المحاربين ، وفضلاً عن ذلك فقد بادر الأهلون من غير المحاربين بإمداد إخوانهم بما يحتاجونه من نجدات ومؤن وأسلحة .

عقبات فى وجه الإيطاليين ومحاولات شريرة !

ولم يكن فى استطاعة الطليان فى هذه المرحلة من الجهاد أن يقوموا بنشاط حربى ملحوظ فى منطقة الجبل الأخضر ، فقصروا جهودهم على تدبير احتلال المركز السنوسى العتيد فى واحة الجغبوب ، لأنها ظلت تمد المجاهدين بما يحتاجونه من معدات ومؤن وذخائر .

كانت الجغبوب من الأراضى المصرية ، ويعتبر القيام بأية عمليات عسكرية ضدها اعتداءً صريحاً على حكومة مصر ، وهى دولة صديقة لإيطاليا .

عمد الطليان إلى تذليل هذه العقبة ، وأخذوا يبذلون نشاطاً كبيراً فى لندن والقاهرة معاً ، وكان هدفه عرض مسألة الحدود المصرية البرقاوية على بساط البحث ، وكانت نتيجة مساعيهم إبرام اتفاق « **الجغبوب** » بين إيطاليا ومصر بالقاهرة فى ٦ من ديسمبر عام ١٩٢٥ م .

وبفضل هذا الاتفاق أدخلت « **الجغبوب** » ضمن الحدود البرقاوية ، وبدأ الطليان بعد ذلك مباشرة يتخذون العدة لاحتلالها .

سقوط الجغبوب وأثره على المناضلين الشرفاء :

وقد أعدوا حملة عسكرية لاحتلالها ، ولكنهم دخلوها بدون مقاومة ، وذلك لأن أهلها كانوا قد رحلوا عنها ، فاحتلوها فى ٨ من فبراير عام ١٩٢٦ م .

ويعد سقوط جغبوب مصيبة جديدة ، فقد أضيفت إلى المتاعب التى استقبلها عمر المختار عندما حمل عبء الجهاد كاملاً على عاتقه .

بذور الشقاق بين المجاهدين :

ولجأ الطليان إلى محاولة بذر بذور الشقاق بين المجاهدين ليضعفوا من قوتهم فلم يفلحوا ، وخُيِّل إليهم أنهم يستطيعون شراء عمر المختار ، فعرضوا عليه عروضاً سخية ، وحاولوا أن يكافئوه بمبالغ كبيرة من المال ، أو أن يعدوه بالجاه العريض فى ظل حياة رغدة ناعمة فلم يفلحوا ، وهذا يدل على أن الرجل كان صاحب فكرة ومبدأ ، لا يفرط فى فكرته ولو عرضت عليه الدنيا ثمناً لذلك .

تدابير حكيمة !

وكان عمر المختار يتخذ مقر قيادته فى منطقة « **شحات** » ، واتخذ التدابير التى تمنع عرقلة حركات المجاهدين ، فأبعد الأسر بمواشيها عن منطقة القتال ، وزوّد جنوده بعدد عظيم من قِرب الماء ، وأخذ هؤلاء يستعدون للالتحام مع الطليان فى معارك فاصلة .



اشتباك ومحاولات للإيطاليين

وسرعان ما اشتبك المجاهدون مع الطليان فى معارك دامية فى يوليو عام ١٩٢٧ م ، وأصيب الطليان بخسارة فادحة ، ثم تغلب الطليان فى النهاية ، بسبب ما كان عندهم من قوات كبيرة تساعدها الطيارات والسيارات المصفحة ؛ فاستطاعوا أن يضيقوا الحصار على المجاهدين .

وأعد الطليان خطتهم للاستيلاء على « **الفزان** » ، واحتلال عاصمتها ، فخرجت فى أواخر يناير عام ١٩٢٨ م قوتان : إحداهما من « **غدامس** » ، والأخرى من « **الجبل الأخضر** » ، وكان الجيش بقيادة « **جرازيانى** » ، والتحم المجاهدون معه فى معركة دامية استمرت خمسة أيام بتمامها ، وقد انهزم الطليان فيها شر هزيمة ؛ فتقهقروا تاركين ما عندهم من مؤن وذخائر .

ثم ما لبث أن خرجت قوة أخرى تقصد « **الفزان** » مباشرة ، فعلم المجاهدون بأمرها بعد خروجها بثلاثة أيام ، وانسحبوا إلى الداخل ، حتى إذا وصل هذا الجيش

إلى مكان يقع بين جبلين يعرفان بالجبال السود انقض عليه المجاهدون ، وأرغموه على التقهقر ، فعمد قواد الحملة إلى الفرار بسياراتهم ، ووقع أكثر الجيش الذى كان معهم فى قبضة المجاهدين ؛ فأفنوهم عن آخرهم .

وعندئذ لم يجد الطليان مفرا من أن يجددوا محاولاتهم ، فخرجت فى هذه المرة قوات عظيمة من جهات متعددة ، غير أن الطليان ما لبثوا أن انهزموا فى هذه المعارك ، وتركوا وراءهم غنائم كثيرة .

ولكن الطليان استطاعوا بفضل احتلال الجغبوب وغيرها أن يقطعوا كل السبل بين المجاهدين فى الجبل الأخضر وبرقة وبين مصر من الناحية الشرقية ، وبين مصر وبين مراكز السنوسية الباقية فى الجنوب فى فزان والكفرة ، وبذلك وضعوا عمر المختار والمجاهدين فى عزلة تامة فى الشمال .

عمر المختار يقاتل حتى النصر !

ولكن عمر المختار لم يضعف ، ولم ييأس ، ولم تؤثر الأحداث فيه شيئا ، وابتسم ابتسامة الواثق بربه ، المؤمن برسالته ، وقرر الجهاد مهما كانت الظروف والنتائج .

وفى خلال هذه الظروف الصعبة ظل عمر المختار يشن الغارات المتوالية على « **درنة** » وما حولها ، حتى أرغم الطليان على الخروج بجيوشهم لمقابلته فى ٢٢ من أبريل ، فاشتبك معهم فى معركة عنيفة ، استمرت يومين وكان النصر فيها حليفه ، ففر الطليان تاركين عدداً من السيارات والمدافع وصناديق الذخيرة ودواب النقل .

إبادة لقوة إيطالية !

وفى يونيو استطاعت قافلة أن تخرج من السلوم محملة بمختلف العتاد والمؤن قاصدة الجبل الأخضر ، لإمداد عمر المختار ، فعلم الطليان بخروجها ، وأرسلوا سياراتهم المسلحة لتعقبها ، ولكن المجاهدين صمدوا لهم ، وأطلقوا الرصاص على عجلات السيارات فتعطلت ، فانقض العرب على القوة الإيطالية فأفنوها عن آخرها ، وأحرقوا السيارات .

خسائر الإيطاليين تتوالى !

وفى سبتمبر عزت جموع الزاوية« **الحجزة ومرسى بريقة وجالو وأوجلة** »،وأنزلوا بالطليان خسائر جسيمة فدلت هذه الأعمال على أن الثورة مازالت مشتعلة فى الجهة الغربية ، من « **سرت** » شمالا إلى « **الفزان** » جنوباً ، وإلى « **جالو** » شرقا ، فضلاً عن

اشتداد مقاومة المجاهدين فى الجبل الأخضر ، وذلك كله على الرغم من احتلال الطليان للواحات ومراكز السنوسية الهامة .

إعادة الطليان النظر فى خططهم :

وأصبح لابد من أن يعيد الطليان النظر فى خططهم ، مما أدى إلى وقوع أزمة كبيرة فى روما ، وأعلن موسوليني توحيد الإدارة فى القطرين الليبيين ، وعين الماريشال « **بادوليو** » حاكماً على طرابلس وبرقة . ويحدد مجىء « **بادوليو** » إلى ليبيا بداية مرحلة النضال الحاسمة فى برقة والجبل الأخضر .

هذا هو عمر المختار !

هذا هو عمر المختار على حقيقته ، الذى بَدَّد بحفنة من الرجال جيوش الإمبراطورية الإيطالية ، وجعلها تفر هاربة تاركة عتادهاومؤنها ، ولو لم يكن الرجل من معدن نفيس لما كان بهذه القوة المدمرة .

لقد كان كل ما حوله ينذره بالهزيمة ، ويقيم الدليل على أن المعركة غير متكافئة ، وأن النتيجة سوف تكون استيلاء إيطاليا فى النهاية على ليبيا بأكملها .. فما فائدة القتال والنضال ؟

كان هذا هو منطق الحوادث ، وهو منطق العقول والأوهام دائماً ، ولكنه ليس بمنطق الأبطال الراغبين فى الشهادة ، والذين يقاتلون مهما كانت النتائج ؛ لأنهم يؤمنون بشىء واحد ، هو أن يموتوا شهداء ، وذلك هو مصدر القوة العجيبة التى تنفجر من قلوب الشهداء .





مفاوضاته مع الإيطاليين

موسولينى يتدخل !

حضر **بادوليو** إلى ليبيا حاكماً عليها فى يناير عام ١٩٢٩ م ، وقد أمره موسولينى بالقضاء على المقاومة ، ويريح إيطاليا من مشكلة لا تزال تشغل بالها .

برنامج جديد للاحتلال الإيطالى :

وكان برنامجه الجديد يتلخص فى تخفيض الجيش إلى القدر الذى يكفى لحرب العصابات ، وللمحافظة على هيبة الحكومة فقط ، وإنفاق الأموال المتوفرة فى مد الطرق فى الجبل الأخضر ليسهل عليه التنقلات العسكرية ، فإذا ما تم له ذلك قام بهجوم كاسح على المجاهدين يقضى على المقاومة نهائياً .

وافتتح **بادوليو** عهده بإعلان عفو جزئى عن بعض المحكومين السياسيين ، ثم أذاع منشوراً فى كل البلاد دعا فيه المجاهدين إلى الاستسلام والخضوع ؛ وأنذر المتخلفين بالعقاب الشديد !.

وخطا خطوة ثانية ، فأوعز إلى متصرف المرج الإيطالى بأن يتصل بالسيد عمر المختار ، وأمره أن يختبره ويباحثه فى عقد اتفاق ينهى الخلاف ويريح الأمة .

عشــرة شــروط :-

وقد اشترط السيد عمر المختار عشرة شروط يتفق فيها على ما يلى :

أن يحضر مندوب من طرف الحكومة المصرية ومندوب من طرف الحكومة التونسية ليشهدا شروط الاتفاق ، ويكون ناقض العهد منا مسئولا أمام العالم بشهادتهما .

لا تتدخل الحكومة الإيطالية فى أمور ديننا ، كما أن لنا الحق فى تأديب كل من يخرج عن الدين ، أو يهزأ بتعاليمه ، أو يتهاون فى القيام بواجباته .

أن تكون اللغة العربية معترفاً بها رسمياً فى دوائر الحكومة الإيطالية .

أن يكون الموظفون من الوطنيين والإيطاليين .

أن تفتح مدارس خاصة يدرس فيها التوحيد والتفسير والحديث والفقه وسائر علوم الدين .

أن تفتح مدارس لتعليم اللغة العربية واللغة الإيطالية على السواء ، وألا يحرم الوطنيون من التعليم العالى ، ويلغى القانون الذى وضعتموه عام ١٩٢٣ م والذى ينص على منع الوطنيين من دخول المدارس العالية كما يلغى القانون الذى وضعتموه فى السنة نفسها بعدم المساواة فى الحقوق بين الوطنى والإيطالى إلا إذا تجنس بالجنسية الإيطالية .

أن تكون إدارة الأوقاف تحت تصرف هيئة مسلمة ، بإشراف رئيس مسلم ، ويكون لها نظار مسلمون .

أن ترجع الحكومة جميع الأملاك التى اغتصبتها من الأهالى .

أن يكون للأمة رئيس منها ، تختاره بنفسها ، ويكون لهذا الرئيس مجلس من كبار الدولة ، له حق الإشراف على مصالحها ، كما يكون للقاضى القول الفصل بين الوطنيين .

أن نكون أحراراً فى حمل السلاح على اختلاف أنواعه ، كما يكون لنا الحق فى جلبه من الخارج إذا امتنعت الحكومة الإيطالية من بيعه لنا .

مكر وخديعة :

وقبل **سيشليانى** وكيل الوالى **بادوليو** هذه الشروط ، ووعد بأن يعرضها عليه ، وبأن يوافى السيد عمر بما يتم فى أقرب وقت ممكن ، وقد تعددت الاجتماعات بينه وبين الإيطاليين ولكن بدون نتيجة .

ثم حضر بادوليو واجتمع مع السيد عمر فى « **سيدى رحومة** » ، ووعده بأنه سيحضر مندوب الدول ، وسيتم الإتفاق على ما ذكره السيد عمر المختار ، وتسلم هذه الشروط .

وبعد رجوع بادوليو إلى بنغازى أشاع أنه تم الصلح بينه وبين عمر المختار ، وسحب الجنود من أرض القتال ، ولم يعلن شيئاً عن الشروط التى اتفقوا عليها .

مكث المجاهدون ينتظرون رجوع بادوليو إليهم مدة شهر فلم يرجع ؛ فأرسل السيد عمر إلى « **سيشليانى** » فى بنغازى يذكره بوعد بادوليو ، ويستحثه فى تعجيل الأمر ، فاتفقوا على أن يجتمعوا فى سيدى « **رويقع** » .

وفى هذا الاجتماع قال « **سيشليانى** » للسيد عمر : إن هذا الإتفاق لا يتم إلا فى

بنغازى ، فلم يمانع فى ذلك ، وأرسل معه الحسن بن الرضا السنوسى لينوب عنه فى إمضاء الصلح حسب الشروط التى أتفق عليها .

مكث الحسن فى بنغازى ١٥ يوماً ، وأحاط به الإيطاليون وسماسرتهم ، وبذلوا من الوعود والأمانى المعسولة ما بذلوه لأبيه من قبل ، فاغتر بوعودهم ، وخرج من بنغازى يحمل تعاليم سيشليانى ، وجاء إلى السيد عمر يحمل شروطاً غير التى اتفقوا عليها ، و لم يذكروا من شروط السيد عمر شرطاً واحداً . وهذه الشروط هى :

١ – تعتبر الحكومة الإيطالية عساكر عمر المختار دورية وطنية .

٢ – تقيم عساكر عمر المختار بنقطة « **جردس** » العبيد .

٣ – تعترف الحكومة برتب الضباط ، وتصرف شهريات لهم ولعساكرهم .

٤ – يكون جميع ضباط وعساكر عمر المختار تحت أمر ضابط إيطالى

٥ – يكون للحكومة الإيطالية الحق فى نقل عساكر عمر المختار لأى جهة شاءت .

٦ – يكون للحكومة الحق فى تغيير السلاح الذى بايدى عساكر عمر المختار ، بأى سلاح شاءت .

٧ – يكون للحكومة الحق فى تسريح بعض عساكر عمر المختار إذا رأت ذلك .

٨ – يكون للحكومة الحق فى معاقبة من ارتكب جريمة قبل هذا الصلح من عساكر عمر المختار ، وليس لعمر المختار حق الاعتراض على ذلك .

٩ – يكون للحكومة الحق فى رفض الضباط الذين لا يعرفون اللغة الإيطالية .

١٠ – تتولى الحكومة أمر العرب الذين تحت سيطرة عمر المختار الآن ، على ألا تكون لعمر المختار أى سيطرة عليهم .

١١ – تتعهد الحكومة الإيطالية للسيد حسن السنوسى بمعاش قدره خمسون ألف فرنك فى الشهر ، وتبنى له قصراً فخماً فى مدينة بنغازى .

١٢ – تتعهد الحكومة الإيطالية لعمر المختار بمعاش قدره خمسون ألف فرنك فى الشهر ، وتصلح له « **زاوية القصور** » ، وتبنى له فيها مسجداً ومئذنة وبيتاً يليق بمقامه ، وتأتى له بمعلمين يعلمون الأولاد ، ولا تمنع الأهالى من الاتصال به .

رفض ما أتى به الحسن !

ولما اطلع السيد عمر على هذه الشروط قال للحسن : « **غرولى يابنى بمتاع الدنيا**

الفانى ، ورضيت بهذه الشروط المزرية » .. فقال الحسن : « **قد اتفقت مع الحكومة على هذه الشروط ، ولا يمكننى نقضها** » .

عمر يفضل الموت جوعاً :

عندئذ جمع السيد عمر المجاهدين ومشايخ العرب ، وتلا عليهم هذه الشروط التى أتى بها الحسن ، وقال لهم : « **إنى لا أرضى بهذه الشروط ، وأفضل الموت جوعاً وعطشاً ولا ألقى بنفسى وإخوانى بين أيدى الإيطاليين يتصرفون فينا كيف شاءوا** » ، وطلب إليهم أن يبدوا رأيهم إن كانوا راضين بها أو غير راضين ، فقالوا : « **لا نرضى بشرط من هذه الشروط** » .

لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق :

فقال الحسن : « **لابد من قبولها** » .. فقال له الشيخ الشريف القاسم العبيدى : « **إنك لست خالقاً ، بل أنت مخلوق مثلنا ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق** » .

فعند ذلك قام الحسن السنوسى مغضباً وقال : « **ليقم معى كل من يريد أن يتبعنى** » فقام معه ما يقارب ثلثمائة رجل ، ونزلوا على بئر على مسافة ساعتين من النقطة الإيطالية بمراوة ، وعين معه الطليان ميلاكرى ، ومن هذا الوقت انقطعت العلاقة بين السيد عمر والحسن بن الرضا .

فأرسل السيد عمر إلى « **سيشليانى** » وكيل الوالى « **ببنغازى** » يطلب منه التوقيع على الشروط التى اتفقوا عليها فلم يرد عليه ، فكتب إليه ثانية فلم يرد بشىء ، وبقى السيد عمر فى انتظار وفاء العهد من بادوليو نحو ستة أشهر فلم يرد عليه .

عمر يرفض الإغراء !

وقد أراد الطليان أن يستميلوا السيد عمر بالمال ؛ فأرسلوا إليه مع « **بلعون مدير الحاسة** » يعرضون عليه مليون فرنك هدية فرفضها ، وفضل البقاء مع إخوانه إلى أن يأذن الله بلقائه عزيزاً مكرماً .

وقد خطر ببال السيد عمر أنه ربما كان وكيل الوالى لا يبلغ الوالى حقيقة الأمر ؛ فأراد أن ينفى هذا الخاطر ، فكتب إليه ثالثة يطلب الاجتماع به ليعلم منه مشافهة سبب هذا التأخير .

وذكر له فى كتابه : « **إنى أعد رفض مقابلتى إعلاناً منك بقطع المفاوضة ، ونقضاً**

للعهد ، وإليه فستعود الأمور إلى ما كانت عليه » .

فرجع البريد مع « **أبى بكر البرعصى** » يقول فيه على لسان « **الشارف الغريانى** » مستشار الحكومة فى بنغازى : « **إن الحكومة مستعدة فى كل وقت لمقابلة الحوادث ، فلا حاجة لإعلانها بعود الأمور إلى ما كانت عليه** » .

وإلى هنا انتهى حديث المفاوضات ، وتحقق السيد عمر أن الطليان لا يرغبون فى الصلح ، وإنهم إنما يطلبون الهدنة لكسب الوقت فقط .

نــداء !

وعندئذ تأكد للسيد عمر أن الطليان مصممون على القتال ، وجه هذا النداء إلى أبناء وطنه سكان برقة وطرابلس ، يفسر فيه حقيقة تلك الأخبار المشوهة التى أذاعتها بعض الصحف عن توقيف القتال بين المجاهدين والإيطاليين ، وقد نشر هذا النداء فى جريدة الأخبار المصرية ، وهذا نصه :

أبناء وطنى سكان برقة وطرابلس :

فى ابتداء سنة ١٣٤٨ هـ وأواسط سنة ١٩٢٩ م خاطبتنى الحكومة الإيطالية على لسان ممثليها سعادة الوالى المارشال « **بادوليو** » بتوقيف الحرب ، وتقديم مطالبنا ، وتعيين محل لمقابلة دولته ، فحصل ذلك ، وتقابلنا « **بسيدى رحومة** » ، واتفقنا على عمل هدنة مدتها شهران ليخابر كل منا مرجعه ، وفى أثناء المقابلة طلب منى تقديم مطالبنا ، وقال لى : إنه مستعد لإرجاع أميرنا السيد محمد إدريس السنوسى إلى برقة إذا كنا نرغب فى ذلك .

ومن جملة شروط الهدنة التى قدمناها ما يأتى :-

أولاً : العفو العام عن كل المجرمين السياسيين ، سواء كانوا فى داخل القطر أو خارجه ، وإطلاق سراح المسجونين .

ثانياً : سحب كل النقط المستجدة أثناء حرب ١٣٤١ هـ بما فى ذلك نقطتا « **الجغبوب** » و« **جالو** » .

ثالثاً : لى الحق فى أخذ الزكاة الشرعية من العربان القاطنين حول النقط الإيطالية بالسواحل .

رابعاً : مدة الهدنة شهران وقابلة للتجديد ..

فقبل سعادة المارشال هذه المطالب ، ووعد بتنفيذها . وقبل انتهاء مدة الشهرين

أخبرت سعادة الوالى بواسطة وكيله الكولونيل « سيشليانى » أن كل الزعماء الوطنيين اتفقوا على انتخاب الأمير السيد محمد إدريس السنوسى ، وهو ينتخب معه الرجال الأكفاء من أبناء برقة وطرابلس لتولى المفاوضة مع الحكومة الإيطالية على مطالب برقة وطرابلس ، وطلبت من الحكومة أن تخابر سيادة الأمير السيد محمد إدريس السنوسى حالاً لاتخاذ الطرق المؤدية لإنهاء الحالة الحاضرة بأحسن منها ، فوعدنى سعادته خيراً .

وقبل انتهاء مدة الشهرين طلبوا تجديد الهدنة بدعوى أن الوالى سافر لروما لعرض الأمر على الحكومة ، وإلى الآن لم يحضر .

وهكذا امتدت الهدنة بالعشرة الأيام وبالعشرين حتى ٣ من جمادى الأولى عام ١٣٤٨ هـ ، فعرفت أن غرض الحكومة هو كسب الوقت فقط ، لذلك أبلغت الحكومة بواسطة وكيل الوالى أن الهدنة آخرها يوم ٢٠ من جمادى الأولى سنة ١٣٤٨ هـ ، وأنها غير قابلة للتجديد .

والآن والهدنة على وشك الانتهاء ، ولم أتلق رداً من الحكومة الإيطالية عن عزمها بمخابرة أميرنا السيد محمد إدريس السنوسى رأيت أن أخوض غمار الحرب ، وإلّا أركن إلى أى محادثة أو واسطة ، ولو من العائلة السنوسية إلا من اتفقت عليه الأمة ، وأودعته ثقتها .

ولكن لا أدرى ، لماذا تتجنب الحكومة الإيطالية مخابرة الزعيم المذكور مع علمها تماماً بأن الحل والعقد بيده ، فلو كانت حقيقة تركن إلى الصلح لما ترددت لحظة واحدة فى مخابرته .

فليعلم إذاً كل مجاهد أن غرض الحكومة الإيطالية إنما هو بث الفتن والدسائس بيننا لتمزيق شملنا ، وتفكيك أواصر اتحادنا لتتم لهم الغلبة علينا ، واغتصاب كل حق مشروع لنا ، كما حدث كثير من هذا خلال الهدنة ، ولكن بحمد الله لم توفق إلى شىء من ذلك .

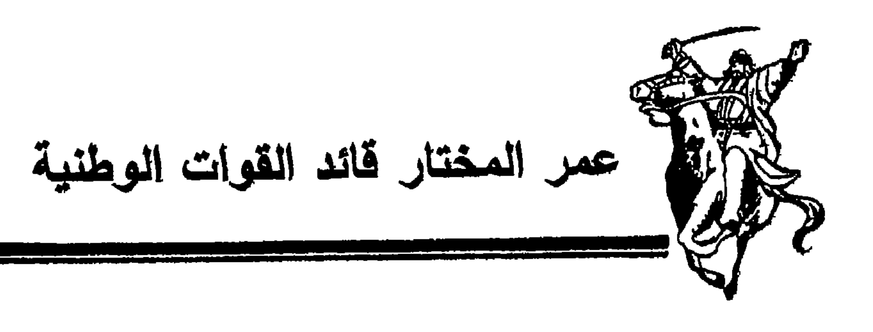
وليشهد العالم أجمع أن نوايانا نحو الحكومة الإيطالية شريفة ، وما مقاصدنا إلا المطالبة بالحرية ، وأن مقاصد إيطاليا وأغراضها ترمى إلى القضاء على كل حركة قومية تدعو إلى نهوض الشعب الطرابلسى وتقدمه ، ومع ذلك لا يمكننا أن نقول : إن جميع الشعب الإيطالى يحبذ فكرة الحرب ، وخصوصاً فى الوقت الذى تتساهل فيه الأمم الأخرى مع الشعوب الشرقية ، بل فيه رجال سياسيون ميالون إلى السلم يقدرون مصلحة بلادهم ، ويعرفون ما تجره الحرب من ويلات ودمار ، كما أن فيه أفرادًا يريدون

القضاء على الشعب الطرابلسى بأى وجه كان .

وهيهات أن يصل الآخرون إلى غرضهم هذا مادامت لنا قلوب تعرف : أنه فى سبيل الحرية يجب بذل كل مرتخص وغالٍ ، وها نحن الآن ندافع عن كياننا ، ونبذل دماءنا الزكية فداء للوطن ، وفى سبيل الوصول إلى غايتنا المنشودة .

لهذا نحن غير مسئولين عن بقاء هذه الحالة الحاضرة على ما هى عليه حتى يثوب أولئك الأفراد النزاعون إلى القضاء علينا إلى رشدهم ، ويسلكوا السبيل القويم ، ويستعملوا معنا الصراحة بعد المداهنة والخداع .





عمر المختار قائد القوات الوطنية

غدر الطليان :

وكان عمر المختار محقاً فى توقع الغدر من جانب الطليان ، فما لبثت الطائرات الإيطالية أن ألقت قذائفها فى ٢٦ من يناير على المجاهدين والسيد عمر المختار ، وبدأ النضال من جديد بين المجاهدين وبين الحكومة الإيطالية .

مصير الخونة ! :

ولما أيقنت إيطاليا أن مركز السيد عمر لا يؤثر فيه انشقاق الحسن عليه ، وأنه من المستحيل أن يحقق لها الحسن شيئاً مما كانت تعلقه مع مناوأته للسيد عمر اعتزمت القبض عليه وعلى من معه ، فهاجمتهم بجيشها ، وشتت الله شملهم ، وصاروا إلى ما يصير إليه غير المخلصين .

أما الحسن فقد ذهب به إلى بنغازى حافى الرجل ، محاطاً بالجنود ، ثم نفى إلى روما ، ودفع الله شره عن السيد عمر بعد أن كان يزداد ازدياداً عظيماً .

ومحاولات جديدة ! :

وبعد أن نفى محمد رضا السنوسى إلى إيطاليا نحو السنتين جىء به إلى بنغازى للتأثير به على السيد عمر ، فصار يكتب إليه فى شأن التسليم للطليان ، وقد كتب منشوراً بذلك ألقته الطائرات على المجاهدين بالجبل الأخضر فى فبراير سنة ١٩٣٠ تبرأ فيه من المجاهدين ومن السيد عمر إذا لم يسلموا للطليان .

ولما انشق ابنه الحسن على السيد عمر ، وانضم إليه بعض المرتزقة خرج إليهم الرضا ، وحضهم على الانضمام إلى الطليان ، والانفضاض من حول السيد عمر ، ووصف السيد عمر ومن معه بالعصاة الخارجين ..

براءة المسلمين من منشور رضا السنوسى وفشل الحسن ابنه :

وقد برئ عموم المسلمين من منشور محمد رضا السنوسى ، ومن أعماله التى تحقر المسلمين والسنوسيين . ولما لم ينجح الحسن بن الرضا فى عمله فكر الطليان فى نقل العرب من حول الجبل الأخضر . وفصلهم عن المجاهدين ، حتى يبقى المجاهدون فى عزلة تامة ، فتم نقلهم فى سبتمبر سنة ١٩٣٠ إلى « **عين الغزالة** » ثم إلى « **العقيلة** » وهى على حدود برقة الغربية ، وعينوا لهم منطقة ضيقة لا يتجاوزونها ، وكان حصرهم فيها صورة مصغرة من يوم الحشر ، ففتكت بهم الأمراض والجوع فتكاً ذريعاً .

أقوى سلاح استعملته إيطاليا :

وكان فصل العرب من المجاهدين أقوى سلاح استعملته إيطاليا للقضاء على الثورة فى برقة ، وكان من أفظع ما تبيحه الحروب للقضاء على أحد المتحاربين .

وقد أحس السيد عمر المختار بخطر هذا العمل ، وعلم أن عاقبته خطيرة إذا لم يتدارك الله المجاهدين بلطفه ، ولكنه صمد له صموده لكل الحوادث التى مرت به ، وواجه عدوه بقلب مؤمن ملؤه اليقين بأنه على حق فى ما يقوم به من الدفاع عن الوطن ، والله يؤتى نصره من يشاء .

وبعد الانتهاء من نقل العرب إلى « **العقيلة** » اتجهت نية الطليان إلى احتلال « **الكفرة** » ، فأخذوا فى الاستعداد لذلك .





مهاجمته قوات الاستطلاع

تعليمات جديدة يحملها نائب الحاكم العام :

جاء « **جرازيانى** » إلى برقة حاكماً عليها ، ونائباً للمارشال « **بادوليو** » الحاكم العام لكل من برقة وطرابلس . وكان مزوداً بتعليمات صريحة من قبل حكومة « **الدوتشى** » الفاشيستية بضرورة القضاء قضاءً تاماً على المقاومة فى برقة ، وذلك بأن يعد أعظم قوات فى استطاعته استخدامها بصورة سريعة وصارمة ، وذلك للقضاء على المعسكرات ، واستثارة المجاهدين إلى الاشتباك مع الطليان فى معارك فاصلة ، وأخيراً احتلال « **الكفرة** » . كما كان مزوداً بتعليمات بضرورة الفصل بين جميع الأهلين الذين خضعوا للحكومة ، وأظهروا ولاءهم لها عن الثوار والمجاهدين العرب ، واتخاذ كل الوسائل التى تضمن عدم تسرب نفوذ السنوسية بين الأهالى الموالين للطليان .

عملية تطهير واسعة ! :

كما كان مكلفاً بقيام الحكومة بعملية تطهير واسعة بين الوطنيين والطليان المقيمين فى المدن ، وخصوصاً فى بنغازى ، وبقفل الحدود المصرية قفلاً تاماً ؛ لمنع وصول الأسلحة والتموين إلى المجاهدين .

ومنذ عودته إلى بنغازى أخذ يضع هذا البرنامج موضع التنفيذ من غير إبطاء ، معلناً أنه سوف يتبع بكل إخلاص تعاليم الدولة الفاشيستية ، ويسير على مبادئها لأنه يؤمن بها ، وإن كان قائداً من قواد الجيش ، وأحد الرجال العسكريين ، وكان يعلن هذه الحقيقة بكل وضوح وصراحة تامة .

المحكمة الطائرة ! :

وبعد وصوله بأيام قلائل أنشأ ما عرف فى تاريخ الاستعمار الإيطالى باسم المحكمة الطائرة (أبريل ١٩٣٠) ، وذلك بسبب انتقال هذه المحكمة على متن الطائرات من

مكان إلى آخر لإصدار الأحكام السريعة ، ثم تنفيذها على أيدى السلطات المحلية فوراً ؛ حتى يشعر الأهلون بأن العدالة تأخذ مجراها بكل سرعة .

تغييرات جديدة ! :

وفى نفس الوقت بدأ ينفذ سياسة عزل الأهالى الخاضعين للحكومة عن المجاهدين ، فحشدهم فى المعتقلات التى امتدت من العقيلة إلى السلوم .

ثم أخذ يعمل على حل زوايا السنوسيين ، ومصادرة أملاك الزوايا وأوقافها ، إلى غير ذلك من أنواع النشاط التى قام بها تنفيذاً للشطر الأول من التعليمات المعطاة له ، وذلك حتى يضيق الحصار على المجاهدين فى الجبل الأخضر والمناطق الأخرى .

وكانت معسكرات المجاهدين عند حضوره موزعة فى أماكن قريبة من نواجع الأهالى ، وذلك حتى يسهل على عمر المختار وصحبه أخذ العشور ، والحصول على الذخائر والأسلحة والمؤن .

المجاهدون يبدءون من جديد ! :

وفى ١١ من أبريل عام ١٩٣٠ م بدأ المجاهدون هجومهم الجديد بالانقضاض على قوة إيطالية ، ولكن وصول النجدات السريعة إلى الطليان ، واضطرار المجاهدين إلى الانسحاب ما لبث أن جعل عمر المختار يغير شيئاً من أساليبه ، ويركن إلى مفاجأة القوات التى كان يرسلها الطليان للاستطلاع فى أماكن متفرقة ، أو تلك التى كانت تقوم بحراسة العمال المكلفين بإنشاء الطرق ، تمهيداً للقيام بالعمليات العسكرية فى الجبل الأخضر .

وقد أبلى المجاهدون فى هذه المناوشات بلاءً حسناً ، وأشاعوا تهكماً بالطليان واحتقاراً لهم أن عمر المختار قد أصيب بجروح فى إحدى هذه المناوشات تارة ، أو أنه أصيب بمرض طارئ أدى إلى استشهاده تارة أخرى ! وذلك كله لإقامة الدليل على أن المقاومة مازالت سائرة فى طريقها الجدى ، على الرغم من عدم إشراف قائد المجاهدين الأعلى على عمليات الجهاد بنفسه .

الإيطاليون يحكمون تدابيرهم العسكرية :

وأحكم جرازيانى تدابيره العسكرية ، فلم يأت يوم ١٤ من يونية حتى كان الطليان

قد استولوا على منطقة « الفايدية » بأجمعها ، واحتلوها ، ونزعوا من الأهالى الخاضعين لهم ٣١٧٥ بندقية و ٦٠٠٠٠٠ خرطوشة .

عمر المختار ينقل دائرة عملياته :

واضطر عمر المختار نتيجة لذلك إلى نقل دائرة عملياته إلى الناحية الشرقية فى « الدفنا » ، نظراً لقربها من الحدود المصرية ، وذلك حتى يتمكن من إرسال المواشى التى يأتيه بها الأهالى إلى الأسواق المصرية ، فى نظير أخذ حاجته من هذه الأسواق ، مما جعل جرازيانى يقرر إقامة الأسلاك الشائكة على طول الحدود الشرقية من برقة سليمان إلى ما بعد الجغبوب .

محاصرة المجاهدين بالأسلاك الشائكة :

وهذه المسافة لا تقل عن ثلثمائة كيلومتر ، وابتدأ فى مدها فى شوال سنة ١٣٤٩ هـ ، وانتهى من مدها فى ربيع الأول سنة ١٣٥٠ هـ .

وبعد مد الأسلاك الشائكة أصبح المجاهدون منقطعين عن جميع البشر من جميع الجهات ، وقد حاولوا اختراق هذه الأسلاك عدة مرات فكانوا يلاقون أشد التعب والمشقة فى اختراقها .

فهل ضعف عمر المختار بعد هذا كله واستسلم ، بعد أن وضح للجميع أن المعركة ميئوس منها ، وأن الطليان لهم السيطرة التامة على البلاد ؟

كلا ، لم يضعف ولم يستسلم ، بل استمر فى جهاده ونضاله ، مُؤَمِّلاً من إخوانه المسلمين أن يسعوا فى تفريج هذه الضائقة التى حلت بهم ، إلى أن وقع أسيراً فى ميدان القتال ، عليه رحمة الله .





معاركه حتى انتهاء المقاومة

هجوم على مراكز الطليان :

هاجم المجاهدون مراكز الطليان فى منطقة « **عين الغزالة** » ، واستولوا على عدد عظيم من الجمال ، ثم انضم إليهم كثير من الأهالى ؛ فاضطر جرازيانى إلى جمع النواجع المنتشرة فى هذه المنطقة ، ووضعها فى أماكن أحاطها بالأسلاك الشائكة .

ثم أحضر من طرابلس قوات غير نظامية ، واشتبكت بسرعة مع المجاهدين فى معارك لم تكن فاصلة .

استشهاد قائد عظيم !! ومعه أربعون شهيداً :

وفى شهر أغسطس التحم الطليان مع المجاهدين فى مناوشات عدة .

وفى ١٩ من سبتمبر نقل جرازيانى قوات أخرى غير نظامية من قبيلة « **الجاسة** » إلى ناحية « **القبة** » ، ولكنه لم يصل إلى نتيجة ؛ فأعاد العدو الهجوم على المعسكرات ، وجاهد المجاهدون فى « **وادى ساقية** » ، واشتبك معهم فى معركة كرسة المشهورة فى ٢٠ من سبتمبر عام ١٩٣٠ م ، وهى التى استشهد فيها السيد الفضيل بو عمر . وكان السيد الفضيل بو عمر مجاهداً قديماً ، وخير قواد عمر المختار ، وعرف بالشجاعة والإخلاص ، واشترك فى الحرب الليبية الإيطالية عام ١٩١٣ م .

وقد ذكر عمر المختار تفاصيل هذه المعركة فقال : « **إن العدو هاجم المعسكر وكان رئيسه « الفضيل بو عمر » ، وقد استشهد فى هذه المعركة أربعون شهيداً إلى جانب الفضيل ، وقد وجدنا فى ميدان القتال ما يزيد عن خمسمائة قتيل من العدو ، وكان بينهم ماجور وثلاثة ضباط** » .

وبعد هذه الواقعة شدد الطليان عملياتهم العسكرية فى منطقة الجبل الأخضر ، فاستمرت جموعهم تناوش المجاهدين مدة أسبوعين ، ولكن بدون أن تصل إلى نتيجة .

معركة كبيرة ! :

وفى أكتوبر عام ١٩٣٠ م تمكن الطليان من الاشتباك مع المجاهدين فى معركة كبيرة ، وقد عثر الطليان عقب انتهائها على نظارات السيد عمر المختار ، كما عثروا على جواده المعروف مقتولاً فى ميدان المعركة ، فثبت لديهم أن عمر مازال على قيد الحياة .

وأصدر جرازيانى منشوراً ضمنه هذا الحادث ، وقد حاول فيه أن يقضى على أسطورة عمر المختار الذى لا يقهر أبداً ، وقال متوعداً : « **لقد أخذنا اليوم نظارات عمر المختار ، وغداً نأتى برأسه** » .

وبعد الاستعدادات العظيمة بدأ زحف الطليان لاحتلال « **الكفرة** » ، وهى تعد معقل السنوسية الأكبر ، وعرف الطليان وهم فى طريقهم إليها بتجمع قوات المجاهدين فى واحة « **الهوارى** » ، فبادروا بالاشتباك معهم فى معركة دامت ثلاث ساعات ، واستخدمت فيها الطائرات ، وقاتل المجاهدون جميعاً بشجاعة نادرة ، فلم يكفوا عن القتال إلا عند شعورهم بأنهم سوف يفنون عن آخرهم ، وقد استشهد من المجاهدين حوالى المائة ، وأسر منهم ثلاثة عشر فقط ، وغنم الطليان مائة بندقية وبعض الذخائر ، واحتلوا « **الكفرة** » .

ولا يستطيع أحد أن يطالب هؤلاء الأبطال بالاستمرار فى القتال بعد أن استشهدوا جميعاً إلا ثلاثة عشر ، وكان مصيرهم الفناء التام .

سقوط الكفرة معقل السنوسية الأكبر :

وفى ٢٤ من يناير عام ١٩٣١ م وصل إلى الكفرة المارشال « **بادوليو** » بطريق الجو ، ورفع الطليان علمهم على زاوية التاج ، ثم أخذت قواتهم تطارد المجاهدين ، ورجع الطليان من هذه المطاردة بخمسين أسيراً ، قتلوا منهم اثنى عشر رجلاً فوراً .

وبسقوط الكفرة انتهت فى الحقيقة كل مقاومة جدية ضد الطليان فى برقة ، خصوصاً بعد أن أجلوا فى الوقت نفسه العرب النازلين حول الجبل الأخضر .

كما كان سقوط « **الفزان** » فى العام السابق قد قضى على المقاومة فى طرابلس .

وماذا بعد سقوط الكفرة ؟

كان لسقوط « **الكفرة** » أعظم الأثر فى موقف البطل عمر المختار فى « **الجبل الأخضر** » ،

وهو الذى دوخ الإيطاليين ، وأحبط مخططاتهم ، وأشاع فى قلوبهم الرعب !

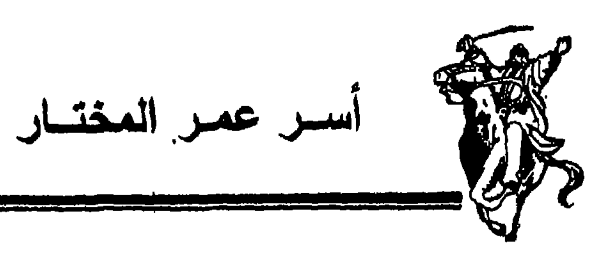
ولكن « **جرازيانى** » قائد العدو بعد سقوط « **الكفرة** » كان قد ضيق على عمر المختار الخناق ، فأغلق الحدود المصرية إغلاقاً تاماً ، وحال بين عمر المختار ، ووصول أى مدد إليه فى « **الجبل الأخضر** » .

وهُنَا أدرك « **عمر المختار** » مدى الصعوبات التى أحاطت به من كل جانب !

فماذا هو فاعل يا ترى ؟!

لقد ظل فى « **الجبل الأخضر** » يقاوم الطليان متسلحاً بالإيمان ، غير عابئ بما كان ! حتى حدث ما لم يكن فى الحسبان !!





أسـر عمـر المختـار

برقية :

فى يوم ١١ من سبتمبر عام ١٩٣١ م وصل إلى الحكومة برقية تفيد أن مصادمات وقعت بين المجاهدين وبين قوة من خيالة الحكومة بالقرب من سلنطة ، وأن رجلاً من الأهلين وقع فى أسرهم ، وقد عرفه الجند وقالوا : إنه عمر المختار نفسه !

وكان لهذه البرقية أثر بالغ فى دوائر الحكومة ، فتوجه مندوبها فوراً بطريق الجو إلى مكان هذا الحادث ، وذلك ليقف بنفسه على الحقيقة ، فسهل عليه التعرف على السيد عمر المختار ، كما أعلن عمر المختار عن شخصه ، فأرسله المندوب بحراسة قوية إلى مرسى سوسة ، ثم نقلته سفينة حربية إلى « بنغازى » ، وعندما وصل إليها أودع السجن .

تفصيل الحادث :

وقد فصل أحد الكتاب ما وقع للسيد عمر المختار فقال : « إن عمر المختار كان قد جرى على عادة الانتقال فى كل سنة من مركز إقامته إلى المراكز الأخرى التى يقيم فيها إخوانه المجاهدون ، وذلك لتفقد أحوالهم ، وكان إذا ذهب لهذا الغرض يستعد للطوارىء ، ويأخذ معه قوة كافية تحرسه من العدو الذى يتربص له فى كل زمان ومكان ، ولما أراد الله أن يختم له بالشهادة ذهب فى هذه السنة كعادته فى نفر قليل يقدر بمائة فارس ، ولكنه عاد فردّ من هذا العدد ستين فارساً ، وذهب فى أربعين فارساً فقط .

ويوجد فى الجبل الأخضر وادٍ عظيم معترض بين المجاهدين اسمه « وادى الجريب » ، وهو صعب المسالك ، كثير الغابات ، وكان لابد من اجتيازه ، فمرّ به السيد عمر المختار ومَنْ معه ، وباتوا فيه ليلتين ، وعلمت بهذا إيطاليا بواسطة جواسيسها المنتشرين فى كل مكان ، فأمرت بتطويق الوادى فوراً من جميع الجهات ، وذلك بعد أن جمعت كل ما عندها من قوة قريبة وبعيدة ، فما شعر السيد عمر المختار ومن معه إلا وهم وسط العدو ، ورأى أنه لا خلاص له من هذا المأزق إلا بالهجوم ، فأمر من

معه بالهجوم على من بقربهم من العدو فى الجهة القبلية ، ودامت المعركة بينهما يومين كاملين .

وعلى الرغم من الاحتياطيات الشديدة التى اتخذها العدو ، وعلى الرغم من كثرة عدده وعُدَته تمكّن السيد عمر المختار ومن بقى معه من خرق صفوف العدو ، وخرجوا من ذلك الوادى ، ووصلوا إلى غربى « سلنطة » ، ففاجأتهم قوة طليانية أخرى غير القوة التى حاصرتهم فى الوادى – وكانت ذخيرتهم على وشك النفاد – فاضطرتهم إلى الاشتباك معها فى معركة جديدة ، قتل فيها جميع من بقى معه ، وقتل حصانه أيضاً ، ووقع عليه ، فتمكن من التخلص من تحته ، وظل يقاتل فى تلك القوة وحده إلى أن جرح فى يده ، ثم تكاثرت عليه الأعداء ، وغلب على أمره ، وأخذ أسيراً » .

سبب وقوعه فى الأسر :

وعند قدوم السيد عمر المختار إلى بنغازى عزا فى حديثه سبب وقوعه فى الأسر إلى نفاد ذخيرته ، وعجز المجاهدين الذين كانوا معه عن مواصلة القتال ، وأكد للمتصرف الإيطالى أن وقوعه فى الأسر لا يضعف شيئاً من حدة المقاومة ، لأنه قد اتخذ من التدابير ما يكفل انتقال القيادة من بعده إلى غيره .

كلمات غالية !

وأخيراً قال عمر المختار هذه الكلمات الغالية ، التى يجب أن نلقنها لأبنائنا جيلاً بعد جيل : « **إن القبض عليه ، ووقوعه فى قبضة الطليان إنما حدث تنفيذاً لإرادة المولى عز وجل ، وأنه وقد أصبح الآن أسيراً بأيدى الحكومة الإيطالية فالله سبحانه وتعالى وحده يتولى أمره ، وأما أنتم فلكم الآن وقد أخذتمونى أن تفعلوا بى ما تشاءون ، وليكن معلوماً أنى ما كنت فى يوم من الأيام لأسلم لكم طوعاً !** » .

المحكمة الطائرة تدعى فوراً إلى الانعقاد !

وكان جرازيانى وقت القبض على عمر المختار يقضى إجازته فى روما ، فوصله الخبر مساء يوم ١٢ من سبتمبر عام ١٩٣١ م – وهو بالقطار الذاهب إلى باريس ، فلم يتابع رحلته بل استقل طائرة أوصلته إلى طرابلس فى يوم ١٣ من سبتمبر عام ١٩٣١ م ، ووصل إلى بنغازى فى اليوم التالى ، ودعا فوراً المحكمة الخاصة أو « **المحكمة الطائرة** » إلى الانعقاد فى يوم ١٥ من سبتمبر عام ١٩٣١ م .



حــواره مع جرازيانى

القائد الإيطالى والبطل الأشــم :

أرادت الأقدار أن يقف البطل الذى حيّر إيطاليا ، وأشاع الرعب فى قلوب جيشها أمام « جرازيانى » ، ذلـك الرجـل الذى كان من الذين يجارون كل عهد ، ويستفيدون منه ، فقد كان من قادة الجيش الإيطالى ، فلما جاء موسولينى وادعى الزعامة على إيطاليا ، وحشر نفسه فى صفوف الزعامات العالمية كان جرازيانى أول من صفق له ، وصار فاشيستياً أكثر من الفاشيست ، أنفسهم .

أمام هذا الرجل الذى لا مبدأ له وقف البطل الأشم عمر المختار .

وتستطيع أن تفكر فى هذا الموقف طويلاً ، فإن النفوس الحقيرة لا تعرف الشرف ولا الرجولة ولا الكرامة ولا الأخلاق إذا خاصمت ، فما يكاد عدوها يقع فى يدها حتى تصب عليه ألواناً من العذاب ، يدفعها إلى ذلك شدة إحساسها بحقارتها وعظمة عدوها ، وشدة شعورها بنقصها وكمال أسيرها .

اللهم لا شماتة !

من أجل ذلك دفعت الشماتة هذا الرجل الحقير أن يقطع رحلته إلى باريس ويعود إلى بنغازى ، وأن يدعو المحكمة الطائرة إلى الانعقاد ، وأن يستدعى البطل فى صبيحة اليوم نفسه !

وقبل المحاكمة بقليل جاءوا به مقيد اليدين بالسلاسل والقيود ، وكان يسير بصعوبة ، وقد غطى وجهه بحرامه ، وظهر عمر المختار حينئذ ولياً من أولياء الله ، لم ينل الأسر والسجن شيئاً من وقاره ، وجلال هيبته ..

حوار بين الجبان والأسد :

ودار الحوار التالى بين الأسد المسلسل ظلماً وطغياناً وبين الجبان جرازيانى وإن لبس ملابس الأسود ، وكان يقوم ترجمان جرازيانى الخاص بالترجمة :

جرازياني : (مخاطباً عمر المختار) : لماذا حاربت الحكومة الإيطالية هذه الحرب الشديدة ؟

عمر : لأن ديني يأمرني بذلك .

جرازياني : هل كان لديك أي أمل في أنك سوف تستطيع إخراجنا من برقة ، ومعك هذا العدد القليل من الرجال الذين ينخرطون معك ، وتلك المعدات القليلة التي تملكها ؟

عمر : كلا ، فإن هذا على ما يبدو كان أمراً مستحيلاً .

جرازياني : ماذا كان غرضك إذن ؟ وماذا كنت تبغي ؟

عمر : كنت مجاهداً وكفى ، أما ما ينجم من هذا الجهاد فالأمر فيه موكول لله وحده .

جرازياني : ولكنني أعلم أن كتابك (**أي القرآن الكريم**) يفرض عليك الجهاد ضد الكفار إذا كان هناك أي أمل في النجاح والنصر فقط ؛ حتى لا يضر الأهلون أو يلحق بهم الأذى . هل يقول القرآن الكريم ذلك حقاً ؟

عمر : نعم .

جرازياني : لماذا إذن حاربت ؟

عمر : لأن ديني يأمرني بذلك .

جرازياني : كلا ، بل الصحيح هو أنك لم تحارب إلا من أجل السنوسية فحسب ، وهذا شيء آخر .

[وهنا انطلق جرازياني يهاجم السنوسية ، والدوافع التي جعلت المختار يتابع الجهاد ضد الطليان ، فلم يجبه عمر المختار بشيء ، ولكنه - كما قال جرازياني - كان يظهر في أثناء ذلك ألماً شديداً .]

جرازياني : لماذا نقضت اتفاق السلام ، وأمرت بالهجوم على (**جرس بنقدن**) ؟

عمر : لأنني ظللت شهراً بطوله أنتظر الرد على خطابي إلى بادوليو ، ولم يرد بشيء .

جرازياني : هذا كلام من يريد الاعتذار عن عمل طائش أتاه ، ولا يصح أن يصدر من رجل مثلك ، والواقع أنك نقضت السلم متعمداً ، وإليك الدليل على ذلك .

[ثم يستمر جرازياني يقول : وقد قرأت عليه المنشور الذي أمضاه ، ونشرته الصحف المصرية ويقصد نداء عمر المختار الذي أذاعه في ٢٠ من أكتوبر عام ١٩٢٩ م ، أما المختار فلم يجب بشيء]

جرازياني : هل أمرت فعلاً بقتل الطيارين أوبر وبياتي ؟

عمر : نعم ، فإن الرئيس وحده هو الذى يتحمل جميع المسئوليات ، والحرب هي الحرب .

جرازياني : هذا يكون إذا كان هناك حرب فعلاً ، وليست أعمال لصوصية إجرامية مثل أعمالكم .

عمر : هذه مسألة رأى .

جرازياني : لقد أضعت بعملك فى (**جرس بنقدن**) كل حق فى طلب الرحمة من الحكومة .

عمر : مكتوب ! ولكنى أريد أن أقول : إننى عندما وقعت فى الأسر لم يكن معى سوى ست خرطوشات فقط ، وربما كان لذلك فى إمكانى أن أقتل الجندى الذى أسرنى أو أقتل أنا .

جرازياني : ولماذا لم تفعل هذا ؟

عمر : لأن ذلك كان من قضاء الله وقدره ، إنى رجل كبير السن فدعنى أجلس .

[وعندئذ يقول جرازياني : إن عمر المختار جلس أمام مكتبه ، وكشف قليلاً عن وجهه ، وكان يبدو عليه الهدوء بعد تأثره الأول ، وكان جالساً بصورة تمكن جرازياني من رؤية نصفه الجانبى ،

ويسترسل جرازياني فيقول : وكان وجه المختار ضارباً إلى الحمرة قليلاً ، ولم يتمالك أن شعر فى قرارة نفسه أنه كان أمام رجل تتجسم فى شخصه الزعامة بأوضح معانيها ، حتى أن جرازياني قال : كان وهو يكتب مؤلفه عن برقة لا يزال يشعر بالأثر الذى أحدثته فى نفسه رؤية عمر المختار ، وكيف أنه أدرك لماذا كان المختار صاحب الكلمة المسموعة ، والرأى الأعلى بين المجاهدين] .

وقد فاجأ جرازياني عمر المختار بالسؤال الآتى :

جرازياني : كم من الوقت يمكنك بما لك من نفوذ وصولة أن تخضع الثوار فى الجبل ؟

عمر : أبداً أبداً . إنى كأسير لا أستطيع فعل شيء ، وفضلاً عن ذلك فقد أقسمنا جميعاً أن نموت واحداً بعد واحد ، ولا نسلم أنفسنا بتاتاً ، ومن المعروف تماماً أنى لم أسلم نفسى إليكم .

جرازياني : من المحتمل لو أننا كنا على اتصال أكثر ، وزادت معرفتنا لبعضنا بعضاً لكان

من المستطاع بالنظر لما لكم من خبرة أن نعمل سوياً من أجل الوصول إلى شيء قد يفيد مصلحة السلام .

عمر : ولماذا لا نسعى فى سبيل ذلك الآن ؟

جرازيانى : لقد فات أوان ذلك ، لقد فات أوان ذلك لأنك صرحت بعدم استطاعتك فعل شيء نتيجة لوقوعك فى أسرنا .

[ويقول جرازيانى : إنه عرض على السيد عمر النظارات التى أضاعها المختار فى معركة « **وادى السانية** » فعرف عمر المختار النظارات وقال : إنه أضاعها فى هذه المعركة] .

جرازيانى : لقد تأكد لى من ذلك اليوم الذى عثرنا فيه على هذه النظارات أنك يوماً سوف تكون فى أسرى .

عمر : مكتوب . أرجع إلىّ النظارات لأنى لا أرى بدونها ، ولكن ما الفائدة وأنا الآن فى قبضتك مع النظارات ؟

جرازيانى : هل كنت تعتقد أن الله تعالى سوف يحميك لأنك تجاهد فى سبيل قضية عادلة ؟

عمر : نعم .

جرازيانى : أنصت لما أقول : لقد فرّ الزعماء أو ماتوا أمام جيوشنا المنتشرة من « **تالوت** » إلى « **جبل برقة** » ، ولم أقبض على واحد منهم وهو مايزال على قيد الحياة . فلماذا تكون أنت ذلك الرجل الذى لايقهر ولا يهزم أبداً ، والذى لا يستطيع أن يأسره إنسان ، ويوليه المولى حمايته ؟ لماذا تكون أنت الآن فى هذا المكان ؟ ولماذا لا يكون من حقى أن أعتقد أنا الآخر أن الله يولينى حمايته ورعايته ؟

عمر : الله أكبر .

جرازيانى : لاشك أنك كنت طوال حياتك رجلاً شجاعاً ، وإنى لأرجو أن تكون شجاعاً مهما حدث لك أو نزل بك .

عمر : إن شاء الله .

[ويقول جرازيانى : إن السيد عمر المختار قد فهم فى تلك الآونة مصيره المحتوم] .

عمر المختار هو عمر المختار حتى النهاية ! :

وفوّت عمر المختار على الكلب جرازيانى ما يريد ، لقد كان يريد أن يتخذ عمر

المختار أداة طيعة لإخماد جذوة المقاومة ، فلم يحقق أمله .

ومن الثابت أن جرازياني عرض على عمر المختار عفواً شاملاً نظير أن يكتب بتوقيعه نداء للمجاهدين يدعوهم فيه إلى الكف عن القتال والمقاومة ، ويطلب إليهم أن يسلموا أنفسهم وأسلحتهم للحكومة ، فرفض عمر المختار لأسباب وضحها جرازياني وهي : « أن هذا العمل لا يرضى ضميره ودينه ، وفضلاً عن ذلك فإن أحداً لن يصدق صدور هذا النداء من عمر المختار » .

أرأيت ؟ هذا هو عمر المختار يخيّر بين أمرين : إما الموت وإما الحياة ، فاختار الموت بلا تردد ، لأن ضميره ودينه ووطنيته تأبى عليه أن يحيا ذليلاً !!

وتلك هي الزعامة الوطنية حقاً وصدقاً .





محـاكمـتـه

محاكمة صورية ! :

فى الساعة الخامسة من مساء هذه المقابلة (التى فى ١٥ من سبتمبر عام ١٩٣١ م) جرت هذه المحاكمة فى مكان برلمان برقة القديم .

وكانت محاكمة السيد عمر المختار صورية شكلاً وموضوعاً ، والدليل على ذلك : أن الطليان كانوا قد أعدوا المشنقة قبل بدء المحاكمة بيوم واحد ، وانتهوا من ترتيبات تنفيذ حكم الإعدام قبل صدوره .

وتستطيع أن تفهم هذا فى نهاية الحديث الذى دار بين البطل عمر المختار وبين جرازيانى حيث قال له : « إنى لأرجو أن تظل شجاعاً مهما حدث لك أو نزل بك » .. وإنها لكلمات تدل على الخبث والدناءة والشماتة ، ومعناها : **أنك يا مختار سوف تعدم شنقاً فلا تجبن أمام المشنقة** .

ولو كان جرازيانى فى هذا الموقف لمات من الجبن قبل أن يساق إلى المشنقة ، ولكن عمر المختار هو عمر المختار ، الذى ظل يسمو ويسمو ثم يقول « **إن شاء الله** » ، فأى ثبات بعد هذا الموقف النادر الرائع ؟!!!

وصف المحاكمة :

ونصف لك المحاكمة كما جاءت فى كتب التاريخ :

بعد اكتمال هيئة المحكمة افتتحت الجلسة ، ونودى بالدعوى ضد عمر المختار ، لاعتدائه على سلامة الدولة ، وعلى أمن البلاد ، ولقطعه الطريق .

ثم نودى عليه وبدىء فى استجوابه ، وبعد أن أجاب عن اسمه ومولده وعمره سئل عما يأتى :

هل أنت رئيس الثوار ضد إيطاليا ؟ وهل حاربت الدولة ؟ وهل رفعت السلاح فى وجه قوات الدولة ، واشتركت فى القتال اشتراكاً فعلياً ؟ وهل أمرت بقتل الجنود

الذين كانوا يحرسون العمال أثناء إنشاء الطرق ؟ وهل أمرت بالغزو واشتركت فيه ؟ وهل أمرت بتحصيل الأعشار من الأهالى ؟

فأجاب عن هذه الأسئلة كلها بالإيجاب ، وكانت كلمة « **نعم** » تخرج من فمه واضحة عالية .

وسئل : هل قتلت الطيارين : « **بياتى وأوبر** » ؟

فأجاب : إنى بعد القبض عليهما أبقيتهما فى المعسكر ، وأخبرت السلطة الإيطالية بشأنهما ، وفى ذات اليوم حصلت معركة فذهبت إليها ، فقتلا بعدى ، ولا أعلم من القاتل .

وسئل عن عدد المعارك التى باشرها من سنة ١٩٢٩ فقال : لا أدرى .

ثم سئل السيد عمر : هل لديك ما تقول زيادة عما تقدم ؟ فقال : لا .

وبعد استجواب السيد عمر المختار ومناقشته وقف المدعى العمومى « **بوندو** » فطلب الحكم عليه بالإعدام وعندما جاء دور المحامى المعهود إليه بالدفاع عن السيد عمر المختار ، وكان ضابطاً إيطالياً يدعى الكابتن « **لونتانو** » وقف وقال : « **كجندى لا أتردد أبداً إذا وقعت عيناى على عمر المختار فى ميدان القتال فى إطلاق الرصاص عليه وقتله ، وأفعل ذلك أيضاً كإيطالى أبغضه وأكرهه . ولكننى وقد كلفت بالدفاع ، فإننى أطلب حكماً هو فى نظرى أشد هولاً من الإعدام نفسه ، وأقصد بذلك الحكم عليه بالسجن مدى الحياة ، نظراً لكبر سنه وشيخوخته** » .

وعندئذ تدخل المدعى العمومى وقطع الحديث على المحامى ، وطلب من رئيس المحكمة أن يمنعه من إتمام مرافعته ، مستنداً فى طلبه هذا إلى أن الدفاع قد خرج عن الموضوع ، وليس من حقه أن يتكلم عن كِبَرِ سن عمر المختار وشيخوخته .

وقد وافقت المحكمة ، ومنعت المحامى من إتمام مرافعته !!! وفضلاً عن ذلك فإنها لم تعين محامياً بدلاً منه !!!

بل سأل رئيس المحكمة السيد عمر المختار : « **إذا كان لديه أقوال أخرى** » ، فلما أجاب بالنفى انسحبت المحكمة ، فرفعت الجلسة ، وكانت الساعة السادسة تماماً .

وفى الساعة السادسة والربع عادت المحكمة إلى الانعقاد ، وتلا رئيسها الحكم ، فإذا هو يثبت إدانة السيد عمر المختار ، ولذلك حكمت المحكمة عليه بالإعدام .

فقابل عمر المختار ذلك بقوله : « **إنا لله وإنا إليه راجعون** » .

وأراد رئيس المحكمة أن يعرف ما قاله السيد عمر المختار ، فطلب من الترجمان

أن ينقل إليه عبارته ، ففعل ، وعندئذ بدا التأثر العميق على وجوه الإيطاليين أنفسهم ، الذين حضروا هذه المحاكمة الصورية ، كما أخذوا يعلقون على قسوة هذا الحكم ، مظهرين استياءهم منه ، وإعجابهم بشجاعة عمر المختار وبسالته فى آن واحد .

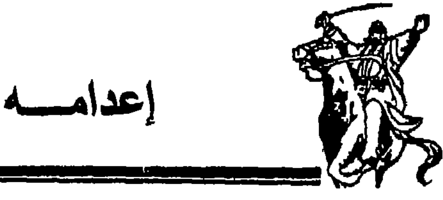
أهذه هى العدالة؟ :

وبذلك تكون المحاكمة قد استغرقت من بدئها إلى نهايتها ساعة وربع الساعة فقط ، حوكم فيها عمر المختار ، وتليت الاتهامات ، ولم يسمح لمحاميه بالدفاع عنه ، وصدر الحكم عليه بالإعدام . وكذلك قضت إرادة الله تعالى أن يتحكم المستعمر الظالم فى مصير هذا البطل العظيم ، لتتم الإرادة الإلهية ، ويلقى الرجل ربه شهيداً .

ويصف الدكتور « **العنيزى** » هذه المحاكمة فيقول : « جاء الطليان بالسيد عمر المختار إلى قاعة الجلسة مكبلاً بالحديد ، وحوله الحراس من كل جانب ، وكان مكانى فى القاعة بجواره ، وأحضر الطليان أحد التراجمة الرسميين واسمه (**نصرت هرمس**) ، فلما افتتحت الجلسة ، وبدأ استجواب السيد عمر المختار بلغ التأثر بالترجمان حداً جعله لا يستطيع إخفاء تأثره ، وظهر عليه الارتباك ، فأمر رئيس المحكمة باستبعاده وإحضار ترجمان آخر ، فوقع الاختيار على أحد اليهود وهو (**لمبروزو**) من بين الحاضرين فى الجلسة ، وقام (**لمبروزو**) بدور المترجم » .

وكان السيد عمر المختار رحمه الله جريئاً ، صريحاً ، يصحح للمحكمة بعض الوقائع ، خصوصاً حادث الطيارين الإيطاليين : « **أوبر وبياتى** » .





إعدامــه

خسة ودناءة ! :

فى الساعة التاسعة من صباح اليوم التالى ، وهو يوم الأربعاء الموافق ١٦ من سبتمبر عام ١٩٣١ م ، نفذ الطليان فى « **سلوق** » حكم الإعدام شنقاً فى السيد عمر المختار الذى كان فى السبعين من عمره .

ودفعت الخسة الإيطاليين إلى أن يفعلوا شيئاً عجيباً فى تاريخ الشعوب ، وهو أنهم حرصوا على أن يجمعوا عدداً عظيماً لمشاهدة التنفيذ ، فأرغموا أعيان البرقاويين الذين اعتقلوهم فى « **بنينة** » ، كما أرغموا أعيان « **بنغازى** » ، وعدداً كبيراً من الأهالى من مختلف الجهات على حضور عملية التنفيذ ، فحضر مالا يقل عن عشرين ألف نسمة ، على قول جرازيانى !

ويقول الدكتور العنيزى : « لقد أرغم الطليان الأهالى ، والأعيان المعتقلين فى معسكرات الاعتقال ، والنازلين فى بنغازى على حضور المحاكمة ، وحضور التنفيذ .

وكنتُ أحد أولئك الذين أرغمهم الطليان على حضور المحاكمة ، ولكنى وقد سيطر علىّ الحزن ، شأنى فى ذلك شأن سائر أبناء وطنى ، لم أكن أستطيع رؤية ذلك البطل المجاهد على حبل المشنقة فمرضت ولم يُعفِنى الطليان من حضور التنفيذ فى ذلك اليوم المشئوم إلا عندما تيقنوا من مرضى ، وعجزى عن الحضور .

ساعة رهيبة ! :

ويالها من ساعة رهيبة ، تلك التى سار فيها عمر المختار بقدم ثابتة ، وشجاعة نادرة ، وهو ينطق بالشهادتين إلى حبل المشنقة ، وقد ظل عمر المختار يردد الشهادتين حتى نفذ فيه الجلادون حكم الإعدام وعندما وجد هؤلاء أن عمر المختار لم يمت أعادوا عملية الشنق مرة ثانية » .

الطليان يصابون بالرعب حتى بعد شنقه ! :

وكأنما كان الرعب يملأ قلوب الطليان من البطل حتى بعد وفاته ، فبمجرد أن أتموا الشنق نقلوه إلى مقبرة « **الصابرى** » فى سيدى عبيد ، بناحية « **بنغازى** » ، فدفنوا جسده الطاهر فى قبر عظيم العمق ، بنوه بالأسمنت المسلح ، وحرصوا على إجراء عملية

الدفن سراً ، كما أخفوا معالم القبر حتى لا يعثر عليه ، وأقاموا عليه جنداً يحرسونه زمناً طويلاً ، خوفاً من أن ينقل مواطنوه جثمانه الطاهر .

احتجاج إسلامي :

وقد احتجت جميع الأمم الإسلامية على هذا التصرف المعيب من ناحية الطليان ، فهو لا يتفق مع التقاليد الدولية ، ولقد قام قبل السيد عمر المختار زعماء فى مصر والجزائر والمراكش وقفوا ضد المستعمرين ولكنهم عندما وقعوا فى قبضه أعدائهم عاملوهم معاملة الأبطال ، وكانوا عندهم فى مكانة رفيعة .

والفرق فى المعاملة يرجع إلى الفرق بين إنجلترا وفرنسا وبين إيطاليا ، فإنجلترا وفرنسا تقدران الرجال حق قدرهم ، وتعرفان للبطولة احترامها ، أما الطليان فلا يرعون للرجل حرمة ، إذا وقف ضدهم .

جزع العالم العربى ! :

وقد جزع العالم العربى لفقد هذا المجاهد العظيم ، الذى أفنى نفسه فى قتال الطليان ، وأقيمت فى كل الأقطار العربية والإسلامية مآتم لإحياء ذكراه ، ونظم الشعراء القصائد فى تأبينه ، وفى الدعوة إلى اتباعه ، وصليت عليه صلاة الغائب فى جامع بنى أمية ، ودعا الخطباء إلى مقاطعة البضائع الإيطالية ، وأغلقت الحوانيت ، وألف الناس مظاهرات طافوا بها شوارع المدن احتجاجا على قتل السيد عمر المختار ، الذى تربطهم به جنسية العروبة ، وأخوة الإسلام ، والذى بفقده ماتت حركة دامت اثنين وعشرين عاماً ، كان يرجى من ورائها تحرير أمة إسلامية ، وشعب من شعوب العروبة الصادقة .

عظمة فى الحياة ، وعظمة فى الممات يا عمر المختار ، عشت قاتلاً لأعداء الله والوطن والإنسانية ، ومت مقتولاً بيد أعداء الله والوطن والإنسانية .

فريد حتى فى موته ! :

حتى الموت .. يموت الناس مرة وأنت تموت مرتين ! لماذا ؟ لأن الله يريد أن يرفعك بذلك مرتين ، ويعطيك على ذلك أجرين : أجر الشهيد الذى عاين الموت وذاقه ، ثم أجر الشهيد مرة ثانية ، الذى أراد أعداؤه أن يقتلوه مرة ثانية .

وتلك علامات القبول يا سيدى عمر المختار ، وذلك أول تاج من تيجان الآخرة ، يضعه ربك على جبينك وقد تنبأ لك يا سيدى بذلك رسول الله ﷺ حيث يقول

« ما من أحد من أهل الجنة يسره أن يرجع إلى الدنيا غير الشهيد ، فإنه يحب أن يرجع إلى الدنيا ، يقول : حتى أقتل عشر مرات فى سبيل الله ، مما يرى ما أعطاه الله من الكرامة »[1].

وقد قتلت مرتين يا سيدى ، ولولا أن سنة الله لا تتغير لقتلوك عشر مرات فى سبيل الله .

ويموت الناس يا سيدى سراً ، وجرت عادتهم أن ينفذوا أحكام الإعدام بعيداً عن أعين الناس ، ولكن الله لم يرض لك ذلك ، وأراد أن يرفع لك ذكرك ، فأوحى إلى الطليان أن يجمعوا الآلاف لتحتشد ساعة التنفيذ .. وشهدوا جميعاً ، ورأوا جميعاً .. شهدوا عظمتك ، ورأوا بلاءك .

وكان أعظم ما راعهم أنك تدخل إلى الموت ثابتاً ، ولسانك لا ينفك يقول : **« أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله »** ، ترددها يا سيدى وأنت تسير إلى المشنقة ، ثم تكثر من تردادها وأنت ترتفع إلى الحبل .. فى تلك اللحظة لم تكن مع الناس ، وإنما كنت مع الله .

كان الناس يرون منك الجسد ، وكنت أنت ترى بداية الملأ الأعلى ... حتى إذا تم لهم ما يريدون ، وانتهى الأجل المحتوم فشعشعت روحك العالية ، ورفرفت إلى حبيبها وخالقها وهى تردد وتردد **« أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله »** .

فسلام عليك يوم ولدت ، ويوم استشهدت ، ويوم تبعث حياً .

عندما خلا الجو للإيطاليين ! :

وقد احتل الإيطاليون بعد استشهاده الجبل الأخضر ، ونفذوا سياستهم الجديدة فى ليبيا ، التى تقوم على تحويلها إلى وطن إيطالى ، ومحو كل أثر للإسلام والعروبة فيها ، وإبادة البقية الباقية من سكانها العرب ، فلا يبقى فيها صوت يرتفع بمعارضة أو بمقاومة .

وظل هذا شأنهم حتى أعلنت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ م ، فكان إعلانها فاتحة تبدل جديد فى السياسة الدولية ، انتهى بطرد إيطاليا من ليبيا ، ومحو كل أثر للإيطاليين فيها ، وقيام دولة عربية مستقلة تتولى شئونه ، هى دولة ليبيا الحاضرة . الجماهيرية الليبية .

---

(١) ورد فى مسلم بنحوه الحديث [١٠٩] كتاب الأمارة (باب فضل الشهادة فى سبيل الله تعالى) .



سبب استمرار قتال عمر المختار

لماذا واصل القتال ؟ :

نتذكر الآن قليلاً من البلاء وطرق العذاب الذى صبه الإيطاليون على ليبيا ، وذلك منذ نزلوها عام ١٩١١ م حتى رحلوا عنها مهزومين مقهورين عام ١٩٤٣ م ، وذلك ليعلم الناس جميعاً لماذا كان عمر المختار يقاتل ويقاتل ، ويستبسل فى قتاله وجهاده .

فقد كان يعلم هو والمجاهدون معه أن العار والذل والعذاب ، وكل أنواع الإهانة فى انتظارهم إذا استسلموا ، فكان لابد لهم من القتال حتى الموت .

فى ١٢ من أكتوبر عام ١٩١١ م فى ناحية المنشية قتل الطليان من الأهالى عدداً يتراوح بين ٤٠٠٠ و٧٠٠٠ نسمة ، ومثّلوا بالكثيرين ، وهتكوا أعراض النساء ، وأمعنوا فى التنكيل بهؤلاء الأهالى ، فنفوا حوالى تسعمائة منهم ، وألقوا فى السجون أعداداً عظيمة من الرجال والنساء .

فى ٢٦ من أكتوبر عام ١٩١١ م أشعلوا الحرائق فى أحد الأحياء الواقعة خلف بنك روما فى طرابلس ، بعد أن ذبحوا أكثر سكان هذا الحى الذى التهمته النيران ، وفتكوا بالنساء والأطفال والشيوخ والعجزة .

فى ٢٧ من أكتوبر عام ١٩١١ م أعدموا حوالى خمسين نسمة بين نساء وأطفال رمياً بالرصاص ، فى ثكنة فرسانهم فى مدينة طرابلس .

عرض مستمر لأساليب القمع والإذلال ! :

وظل الطليان يرتكبون هذه الفظائع فى الأعوام التالية ، فاستمروا يشنقون ويعدمون الأهالى الذين بقوا فى المدن والقرى والنواجع ، ولم ينضموا إلى جيش المجاهدين ، ثم يلقون من نجا منهم فى السجون ، وينفون جماعة أخرى إلى إيطاليا وصقلية ، كما أنهم ظلوا يهتكون أعراض النساء ، ويفتحون بطون الحوامل منهن ، ويصادرون أموال هذه البلاد ، ويغتصبون الأرض منهم .

محاربة المسلمين فى عقائدهم :

ثم امتد طغيان الطليان إلى محاربة المسلمين فى عقائدهم ، فدمروا مسجد سيدى عزيز فى الفاتح من غير سبب حربى .. وأمعنوا فى إهانة الدين الإسلامى ، فمنعوا الأهالى من إقامة شعائرهم ، وصار جندهم يدخلون المساجد وهم سكارى احتقاراً للمسلمين ، وتعطيلاً لعبادتهم ، ومنعوا الحج بحجة انتشار الوباء فى الحجاز . ثم زاد امتهانهم للدين الإسلامى فى المدة الباقية بدرجة شنيعة ، فكان من أسوأ أفعالهم أن ألقى قائد طبرق الإيطالى المصحف الشريف على الأرض ، ثم أخذ يطؤه بقدمه على مشهد من الأهالى وهو يقول : « **إنكم معشر المسلمين لا يمكن أن تصيروا بشراً مادام هذا الكتاب بين أيديكم** » ، ثم اتخذوا من الأضرحة والمساجد اصطبلات لدوابهم وخيولهم .

تسخير العرب فى بناء القلاع ! :

ومنذ عام ١٩١٣ م بدءوا يسخرون العرب فى بناء القلاع ، وتعبيد الطرق ، وغير ذلك من الأعمال الشاقة وغدت فظائع الطليان وخصوصاً بين عامى ١٩١٤ و١٩٢١ متسلسلة الحوادث ، متشابهة الوقائع ، فلم يفتروا لحظة واحدة عن التقتيل والتعذيب ، والنكاية بالعرب ، والضغط على حرياتهم ، والعبث بأرواحهم ، واغتصاب أملاكهم ، ونهب أموالهم ، وإحراق بيوتهم ، وسبى نسائهم ، وتيتيم أطفالهم وتنصيرهم .

نشاط المبشرين وإرغام النساء على التنصُّر ! :

ونشط المبشرون الطليان فى دعوتهم ، وعمدت الحكومة إلى إرغام النساء على التنصُّر ، والزواج من الطليان ... ثم أخذ المبشرون يعملون للقضاء على الأخلاق الإسلامية ، ونشر روح الكاثوليكية بين الأطفال فى المدارس ، والقضاء على معارف أهل البلاد والتعليم الدينى .

القضاء على كل نشاط :

ثم أخذوا يميتون الصناعة والتجارة ، ويزاحمون الأهالى حتى فى أدنأ الحرف . ثم منعوا الناس من التظلم ، وقيدوا حريتهم فمنعوهم من محادثة بعضهم بعضاً ، ومن قراءة الصحف والمجلات والكتب الأدبية ، ومن مراسلة أقاربهم فى الخارج ، حتى صاروا فى شبه سجن داخل بلادهم ، محرومين من كل صلة تربطهم بالعالم العربى خصوصاً .

وقد أبى صحفى إنجليزى رافق الحملة الإيطالية البقاء معها ، لأنه رآها جيشاً لا

هم له – على حد قوله – إلا ارتكاب جرائم القتل ، لأن ما كان يراه من المذابح ، وترك النساء العرب مع أولادهن يتعرضن للموت فى الطرق العامة جعله يكتب للجنرال « كانيفا » قائد الجيش كتاباً شديد اللهجة قال فيه : إنه يرفض البقاء مع جيش لا يمكن أن يعتبره جيشاً بالمعنى المعروف ، وإنما مجرد عصابة من قطاع الطرق والقتل .

ولو أنصف الصحفى المذكور لسماهم حثالة من صعاليك الطليان ، دفعهم الجوع والفقر إلى الانتظام فى هيئة جيش ، وألقوا بجثثهم على شعب آمن مسالم يعتدون عليه بأبشع الجرائم تحت ستار الاستعمار .. والاستعمار هو الاستعمار ، مهما وضعوا له من أسماء ، ولفقوا له من دعايات جوفاء .

وفى أكتوبر عام ١٩٢٢ م جاء موسولينى زعيماً على إيطاليا ، فكان بداية عهد أسود فى ليبيا ، تضاءلت إلى جواره كل الفظائع التى ارتكبت من قبل وتلاشت .

أحــلام :

لقد كان الفاشيست يحلمون بإعادة الإمبراطورية الرومانية القديمة ، لذلك قرروا امتلاك البلدان العربية القائمة على شواطىء البحر الأبيض ، ثم إفناء أهل هذه البلاد ، وتحويلها إلى رقعة لاتينية ... وتلك لعمرى وقاحة ما بعدها وقاحة ، أن يعمل شعب على إفناء عدة شعوب ليحل محلها بالقوة !!.

ولكن هذا هو منطق الطليان !

استهتــار ! :

وبلغ من استهتارهم أنهم ألزموا خطباء الجمعة بالدعاء على المنابر لملك إيطاليا عمانويل الثالث ، وعندئذ امتنع الناس عن صلاة الجمعة ، وقد هاج الرأى العام الإسلامى على هذا الفعل ، فاستكتبوا الأئمة تكذيباً بتوقيعاتهم قالوا فيه : إن الدعاء كان بمحض إرادتهم ، ومن تلقاء أنفسهم ، ومن غير تدخل من جانب الحكومة الفاشيستية ... فهل رأيت وقاحة أبلغ من هذه ؟

وفى عهد « بادوليو » صاروا يمنعون الناس من أداء فريضة الحج ، ويضعون العقبات أمامهم –ى يجبروهم على تركها .

وفى سنة ١٩٢٩ م جمع الجنرال « جرازيانى » جميع مشايخ السنوسية وأئمة المساجد والمؤذنين والفقهاء وخدم المساجد وسجنهم جميعاً فى مركز « بنينة » ، وكان بناء قديماً

لا سقف له ، ذاقوا فيه مر العذاب جوعاً وعطشاً ، ثم نقلوا إلى سجون إيطاليا ، وبعد أن مكثوا بها مدة أعيدوا إلى « بنينة » فهلك كثيرون جوعاً وتعباً ومرضاً .

أساليب الإفناء :

وعندما اشتدت مقاومة المجاهدين ، وأدرك الطليان أنه لا سبيل إلى التغلب على العرب إلا باتباع أساليب الإفناءفكان القضاء على اللغة العربية ، لغة الدين ودعامة قومية العرب ، وكان العمل على تنصير العرب وإضعاف الدين والاخلاق من الوسائل التي تذرعوا بها لتحقيق هذه الغاية ، فأغلقوا الكتاتيب ودور العلم الوطنية ، وأنشئوا بدلاً منها مدارس إيطالية .

ثم أكثروا من إقامة دور الفحش والدعارة ، وأرغموا المسلمين على اعتناق الكاثوليكية ، وبذلوا فى هذا الأمر جهوداً جبارة ، واستقدموا لذلك جيشاً من المبشرين ، وأنفقوا أموالاً طائلة ، وأنشئوا كثيراً من الكنائس فى طول البلاد وعرضها ، التى تكاد لا يوجد بها مسيحى واحد !!

سفالة ووقاحة ! :

ثم كان أقبح ما فعله المارشال « بادوليو » أنه أمر بأن ترصف الصالة فى قصره بالبلاط منقوشاً عليه « محمد ﷺ » ... فبأى وصف توصف هذه الفعلة يا دعاة الاستعمار ؟

ثم حاولوا طمس اللغة العربية نهائياً ، حتى أنهم صاروا يمنعون وصول الخطابات إلى أصحابها مادام عنوانها مكتوباً بغير اللغة الإيطالية .

وفى عام ١٩٢٣ م قتلوا من أهالى « جفارة » وغيرها عند احتلالها ما يزيد على ألف رجل ، وذلك بأن حبسوهم على القتل حتى قتلوا أمام نسائهم وأطفالهم .

وكان من أبشع ما فعلوا أنهم أتوا بعشر سيدات من أهل جفارة ، فجردوهن من ثيابهن ، وشنقوهن عاريات ، وأبقوهن سبعة أيام معلقات على هذه الحالة ...

وهذا يدل على منتهى الجبن والنذالة والخسة وما شئت من أوصاف السوء !!!

ثم ما لبثوا أن أحرقوا عدة قرى بمن فيها .

وفى عام ١٩٢٨ م حدث حادثان أليمان :

الأول : أن ثلاثة من ضباطهم طلبوا ثلاث عربيات للاستمتاع بهن ، فتمكنوا من

اغتصاب اثنتين ، وأما الثالثة فقد فرّ بها أبوها ، ونجت من وحشيتهم .

والثانى : أنهم ألقوا جماعة من طيارة ، من علو ٤٠٠ متر ، من **« جردوس العبيد »** بالجبل الأخضر . وأقبح من ذلك أنهم ربطوا الشيخ **« مفتاح العبيدى »** وابن عمه **« صالح على »** بين سيارتين ، ثم دفعوهما إلى اتجاهين مختلفين ، فتقطعت أجسامهما قطعاً قطعاً ، وذلك أمام قبيلتهما المستسلمة القاطنة بجوار المعسكر الفاشيستى فى **« تاكنس »** .

ثم تفتق ذهن الجنرال **« جرازيانى »** عن اختراع **« المحكمة الطائرة »** ، وكانت هذه المحكمة تنتقل بالطائرة إلى مكان أى حادث ، وتعقد جلساتها فى الهواء الطلق فى الميادين العامة ، سواء فى المدن أو فى النجوع ، وكانت إجراءات المحاكمة والتنفيذ تتم بسرعة عظيمة ، ولا يسمح للمتهمين بالدفاع عن أنفسهم ولا تفحص الحكومة شهادة الشهود ، بل يكفى مجرد الاتهام لاستصدار الحكم بالإعدام على المتهمين .

ونذكر قصة إحدى محاكات هذه المحكمة الشيطانية لتعرف إلى أى مدى بلغ إجرام الطليان : جىء بالمتهمين الأربعة أمام المحكمة ، التى تألفت من رئيس وبعض الضباط الطليان ، وبدأ القاضى بسؤال أكبر المتهمين سناً ، طالباً منه الاعتراف بإعطاء الخبز والطباق للمجاهدين ، وعندما صمت المتهم ولم يرد صرخ القاضى فى وجهه ، وشكّه أحد الشرطة فى ظهره ، فأجاب المتهم بالإيجاب ، وعندئذ قال القاضى : **« حسناً ، يكفى هذا ! المتهم الثانى »** .

وفى أقل من لحظة كان القاضى قد حصل من المتهم الثانى على إجابة تشبه إجابة الأول ، فنحى جانباً . ولما كان المتهم الثالث أصم أبكم فقد ترك دون سؤال .

ثم جاء دور المتهم الرابع ، وهو أصغر المتهمين سناً ، وتبدو عليه النجابة ، فأعاد القاضى نفس السؤال ، وطلب منه الاعتراف بجرمه ، ولكنه رفض أن يفعل ذلك ، ثم قال : إن المجاهدين ولاشك كانوا يأخذون أغنامنا إذا رفضنا إعطاءهم الخبز والطباق ، وليس لدينا ما ندافع به عن أنفسنا ، فكيف نستطيع إذن أن نمنعهم .. فلما قال القاضى : **« كان فى وسعك أن تطلب (الكونبيرى) من (درنة) أجاب : « إن القرآن الكريم يمنع تسليم المسلمين للمسيحيين »** .. فلم يهتم القاضى بهذا الدفاع ، وأصدر حكمه على الفور بإعدام ثلاثة منهم ، بإطلاق الرصاص عليهم من وراء ظهورهم ، وأطلق سراح الأبكم الأصم .

وعندئذ وضعت الأغلال فى أيدى الرجال الثلاثة ، وأركبوا سيارة كبيرة سارت بهم فى الطريق المؤدى إلى السجن ، ولكن لم يلبث أن انقطع صوت محركها فجأة ،

فغطى المكان سكون عميق ، وبعد خمس دقائق فقط دوّى فى الفضاء صوت أعيرة نارية كثيرة ، أطلقت جميعها فى وقت واحد ، ثم أعقبها طلق نارى منفصل ، فلما سُئِل عن السبب أجاب عربى : « لقد تعودنا يا سيدى سماع ذلك ، لأن هؤلاء التعساء لا يموتون سريعاً عندما يطلق الرصاص على ظهورهم من الخلف ، ولذلك يتقدم أحد الضباط للإجهاز على كل من تبقى فيه حياة بإطلاق رصاصة على رأسه » .

فظائع وفظائع !.

ومن الفظائع التى ارتكبها جرازيانى حشده العرب فى معسكرات الاعتقال ، بدعوى أنهم يتصلون بالمجاهدين ، فقد حشد ثمانين ألف نسمة فى معسكرات الموت المحاطة بالأسلاك الشائكة ، وذلك بعد أن أرغمهم على ترك دورهم وأملاكهم ، وأخرجهم بالقوة إلى الأماكن التى يريدها ، وكان يهددهم إما بالموت وإما بالخروج فوراً ، وكان معدل الأموات من الأطفال يبلغ ٩٠٪ ، وأمراض العيون التى ينتهى أكثرها بالعمى كثيرة جداً ومنتشرة ، ويكاد لا ينجو أحد من الأمراض .. وقد فعل ذلك دون أن يراعى حالة هؤلاء البدو الروحية ، أو يلاحظ تأثير مثل هذا القيد والحصار فيهم .

وفى أثناء هذا الاعتقال أنزل جرازيانى وأعوانه بزعمائهم وشيوخهم صنوف الإهانات البالغة ، فرموا بهم فى أعماق السجون ، وقتلوا من وجهائهم رجلاً يدعى الشيخ « **سعيد البرقاوى** » مع خمسة عشر شيخاً شر قتلة .

فليأت نبيكم محمد البدوى لينقذكم ! هكذا كان الإيطاليون يقولون :

ذلك بأن ألقوا بهم جميعاً من الطيارات من علو شاهق على مشهد من أهلهم ، فكان كلما هوى شخص صفق الضباط والجنود ساخرين منادين : « فليأت نبيكم محمد البدوى الذى أغراكم بالجهاد ، وينقذكم من أيدينا » !!. بسبب أساليب الإبادة هذه بلغ مجموع ما فتك الطليان بهم ٥٧٠٩٢٨ نسمة من سكان طرابلس وبرقة .

وفى يناير ١٩٣١ م دخل الطليان الكفرة ، ولم يجدوا فيها سوى الشيوخ والنساء والأطفال ، فاستباحوا قرى هذه الواحة ثلاثة أيام بطولها ، ارتكبوا خلالها مالا تتصور العقول من نهب وسلب وتشنيع ، وسبى نساء ، وذبح شيوخ وأطفال ، وإحراق دور ومزارع ، وانتهاك حرمة المساجد ، ودوس المصاحف .

جرائم ارتكبها الإيطاليون :

وقد وصف أحد الذين شهدوا معركة « الكفرة » فظائع الطليان فقال : « ودخلوا « الكفرة » التى لم يبق فيها إلا الشيوخ والعجزة والنساء والأطفال ، وانتشروا فيها وفى قرية « التاج » مستبيحين كل حرمة ، ونهبوا الأموال ، وذبحوا الشيوخ والأطفال ذبح الخراف ، وفتكوا بالنساء فتكاً أثر فى النفوس ، وبقروا بطون الحوامل ، وكان نصيب الكثيرات من النساء الموت الفظيع لدفاعهن عن أعراضهن ، وبالجملة فقد هتكوا أعراض سبعين عائلة من عائلات السادة الأشراف ، وجعلوا من الجوامع خمارات شربوا فيها الخمر ، وكانوا يجبرون النساء المسلمات اللاتى أحضروهن للفحش على شرب الخمر ، أو الموت شر ميتة ، ونثروا جميع المصاحف والكتب الشرعية فى زاوية « التاج » ، وداسوها ، وألقوها فى الاصطبلات تحت حوافر الخيل والبغال .. » .

الأمير شكيب أرسلان يروى قصة الاعتداء على الأعراض العربية !

ويروى الأمير شكيب أرسلان قصة هذه الفعلة الشنيعة فيقول : « وكان نحو من مائتى امرأة من نساء الأشراف قد فررن إلى الصحراء قبل وصول الجيش الإيطالى ، فأرسلوا قوة فى أثرهن ، فتأثروهن حتى قبضوا عليهن ، وسحبوهن إلى « الكفرة » ، حيث خلا بهن ضباط الجيش الطليانى واغتصبوهن ، وهكذا أنزلوا المعرات بسبعين أسرة شريفة من أشراف « الكفرة » ، الذين كانت الشمس تقريباً لا ترى وجوه نسائهم من الصون والعفاف » .

قصة إعتدائهم على المساجد والمصاحف ! :

وفى مكان آخر يقول الأمير : « إن الإيطاليين قلبوا زاوية السادة السنوسية فى الكفرة إلى دار فسق وسكر ، وداسوا المصاحف الشريفة بالأرجل ، وعندما كانوا يطبخون طعامهم كانوا يوقدون المصاحف تحت القدور » .

وفى أثناء هذا النضال استحق المارشال جرازيانى لقب « الوباء » أو « الطاعون » ، ذلك بأنه ظل شهوراً طويلة يعدم حوالى ثلاثين نسمة يومياً ، وأما العرب الذين كانوا يحاولون الفرار فقد كان نصيبهم أن يلقوا من الطائرات حتى يتحطموا على الصخور .

ويقول جرازيانى : « إن الفرد الواحد من العدو إذا حصل على العفو عنه ، والصفح عن فعاله فإنه يصبح بذلك أشد خطراً على الحكومة من ألف من الأعداء السافرين » .

وفى عام ١٩٣٤ انتهى عهد جرازيانى بمجرد انتهاء المقاومة وإخمادها ، فأرسل بدلاً منه ماريشال الجو « إيتالو بالبو » حاكماً .

تنفيذ الشطر الثانى من برنامج الإبادة ! :

وقد وقع على كاهل « إيتالو بالبو » تنفيذ الشطر الثانى من برنامج إبادة الليبيين وإفنائهم ، ونعنى بذلك اغتصاب الأرض منهم ،وإعطاءها للمستعمرين الطليان ، وترك أصحاب الأرض الحقيقيين وأبناء البلاد يتلوون جوعاً ، هائمين على وجوههم فى الشوارع ، وإذا شاءوا البقاء على قيد الحياة يخدمون هؤلاء المستعمرين خدماً وعبيداً لهم

هذه أمثلة من فظائع الإيطاليين ، وهى وغيرها دفعت الشهيد عمر المختار إلى الإصرار على الاستمرار فى قتالهم ، وذلك حتى يطهر بلاده منهم ، ويخلصها من شرورهم .

ولكن شاء القدر أن يستشهد قبل أن يرى ثمرة جهاده التى تتمتع بها الأجيال من بعده .

وهكذا غرس الأجداد ، وجاهد الآباء ، وحصد الأبناء ، فواجب عليهم أن ينحنوا إجلالاً وتعظيماً لهؤلاء الأبطال الخالدين .



العبرة من حياة عمر المختار

ليس عمر المختار أول من جاهد ، ولا هو أول من استشهد ، وإنما هو أحد أولئك الأبطال القلائل الذين كانوا يواصلون القتال رغم اليأس من نتيجة المعركة .

فهو بلغة الجيش « **رجل إنتحارى** » لا يتخلى عن واجبه حتى آخر لحظة من حياته .

وهو بلغة الإسلام من أولئك الذين صدق فيهم قوله تعالى : ﴿ **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾ [آل عمران : ١٧٣]

وذلك هو مفتاح شخصية هذا الرجل الفذ ... لقد آمن بالله ، واستقرت معانى الإيمان فى قلبه ، فأصبح لا يرى إلا الله ، ولا يخشى إلا الله ... وهذا النوع من الناس هو أقوى من عرفت ومن ستعرف البشرية من الرجال ، وهو الإنسان الحر فى أعلى مراتب الحرية ، وفى أشمل معانيها .

لقد حرر قلبه من الأوهام ، ومن الشرك ، ومن الضلال ، ومن الشهوات ، ومن أطماع الدنيا ، ومن مباهجها ومغرياتها ، ومن كل ظلمة تحجب نور الحقيقة ... فإذا تم له ذلك كان قلبه نوراً خالصاً صافياً لا شائبة فيه ... وأصبح دائم المراقبة لله تعالى ، دائم الشهود له فى كل شىء يراه ويحس بآياته وعظمته ..

وهو من هنا شديد الخوف من الله تعالى ، لأنه يعلم أنه سبحانه شديد العقاب .. وشعور الخشية هذا يحجزه عن كل معصية مخافة من الله تعالى ، واتقاء لغضبه وعذابه .. عندئذ يجده الله أهلاً لحبه واصطفائه فيتجلى عليه بالتجليات الربانية ، وينزل فى قلبه سكينة لو جمعت الدنيا بأسرها لتزلزله ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً .

لذلك كان عمر المختار راسخاً كالجبل الأشم ، تحاول الإمبراطورية الإيطالية بجموعها أن تزحزحه فترتد عنه ، وهى خاسئة ذليلة لم تنل منه شيئاً .

كان يوقن أن أمثال « جرازيانى » وجيوشه إنما هم ذباب ساقه الله ليختبر به إيمانه وإيمان من معه ، فكان يقاتل الطليان وهو فى قرارة ذاته يحتقرهم ، ويراهم ليسوا على شيء مهما حاولوا أن يتبجحوا فى مظاهرهم .. ولا توجد فى العالم فدائية أعلى ولا أقوى من فدائية الإيمان بالله تعالى ، وقد كانت تتمثل فى عمر المختار فى أبهج وأسمى معانيها ..

فالفريد فى سيرته أنه أحيا شيئاً كاد يندثر ، أحيا معانى الإيمان التى كان الناس قد بدءوا ينصرفون عنها .

وحياة الشهيد عمر المختار مملوءة بالعبر التى تذكر منها :

١ – إنه رجل ذاق مرارة اليتم فى صغره ، فكان هذا أول الخير فى قلب البطل ، لأنه يتيم منكسر ، والقلب المنكسر يشعر بآلام الناس ، فإذا صادف مثل هذا القلب الإيمان ، ودخله حب الله وتغلغل فيه ، تحول إلى قلب رحيم نورانى ، يلجأ إلى الله القوى المتين فى كل أمره ، ويحنو على الضعفاء والمساكين دائماً ، ويقف بجوار المظلومين يدفع عنهم شر الظلم ، وينصرهم على أعدائهم .

٢ – إن الرجل كان موهوباً بفطرته ، أعطته الأقدار موهبة الحكم والفصل بين الناس ، والقدرة على الإدارة الحازمة .

٣ – إنه بنيان أسس على التقوى ، أصله ثابت وفرعه فى السماء ، فهو شجرة طيبة تؤتى أكلها فى كل حين ، فقد عاش مباركاً فى حياته ، مباركاً فى مماته .

٤ – إنه كان داعياً إلى الله بإذنه ، تربى على أيدى دعاة السنوسية ، فلما اكتمل وترعرع أدى الرسالة ، وبلغ الأمانة ، وبشر وأنذر ، وخيركم من تعلم القرآن وعلمه .

٥ – إنه كان على فهم صحيح لدينه ، يأخذه كلاً لا يتجزأ ، فلا هو بالمتدين المحترف ، ولا هو بالمتدين البعيد عن جوهر الدين ، وإنما هو رجل مؤمن يعلم أن الإسلام لا يصلح أن يؤخذ بعضه ويترك بعضه ، وإنما لا يصلح المرء أن يكون مؤمناً حتى يعمل به كله .

٦ – إنه كان شاباً دائماً ، حاراً دائماً ، يتدفق النور والحرارة من قلبه رغم شيخوخته ، وتلك طبيعة المقاتلين فى سبيل الله ، الذين يخشون الله ولا يخشون أحداً من عباده ، وإنك تعجب حين تعلم أنه عين قائداً عاماً وهو فوق الستين عاماً ، واستشهد وهو فى نحو السبعين عاماً ، وما ذلك إلا لأنه رجل يقاتل ،

ويحب أن يقاتل ، ومثل ذلك الشعور يجعله شاباً دائم الشباب وإن تقدمت به السنون .

٧ – إن الله لا يضيع أجر المجاهدين ، ولا إيمان المؤمنين إذا علم منهم صدق النية ، وحسن الطوية ، فهاهم أولاء أهل ليبيا ، جاهدوا وجاهدوا طويلاً ، ثم انتصرت إيطاليا عليهم نهائياً فى عام ١٩٣١ م ، ومكثت صاحبة السلطان المطلق فى ليبيا حتى عام ١٩٤٢ م .

وظلت ليبيا أحد عشر عاماً كلها يأس مطلق ، ولا أمل فيها يبشر بالنصر ، ثم أراد الله أن يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ، فجاء بالحرب العالمية الثانية ، وجعلها سبباً فى نصر أولئك المظلومين فانتصروا ، واستعادوا بلادهم مرة أخرى ، وعادوا إلى أوطانهم التى ترعرعوا فيها ، بعد أن خرجوا منها ظلماً وعدواناً ، وهذا مثال حى للأمم والأفراد ..

٨ – إن الظالم الباغى منهزم لا محالة فى النهاية ، وإن انتصر فى البداية وظن أن لن يقدر عليه أحد ... وذلك أن الله خير الماكرين ، وأن مكر الله فوق مكر الظالمين ، يرمى الله أهل الحق بأهل الباطل ، ويرمى أهل الباطل بأهل الحق ليميز الخبيث من الطيب ، ثم تدوم المعركة فينتصر أهل الباطل ، فيغترون بذلك النصر ، ويزدادون غروراً ، وتمضى الأيام وتمضى حتى يكاد أهل الباطل أن ينسوا ما هم فيه وما ينتظرهم ، هنالك .. وبغتة ، يحق الله الحق ويبطل الباطل .

٩ – إن الشهداء وحدهم هم الذين لا يموتون ، وكل الناس يموتون ... وليس ذلك برأى من عندى ، وإنما هو رأى القرآن حيث يقول : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ [آل عمران : ١٦٩]

فالشهداء أعقل الناس حقاً ؛ لأنهم اختاروا أسهل ميتة ، وسارعوا إلى حياة خالدة ، أرق وأفضل .

١٠ – إن عمر المختار لم يسع للشهرة ؛ لأن المخلصين لا يبحثون عنها ، وإنما الشهرة هى التى تبحث عنهم ، ولكن العبرة من سيرته أن كل من أخلص وجاهد وعمل الصالحات ابتغاء رضوان الله تكفل الله برفع ذكره فى الدنيا ، ويرفع درجته فى الجنة فى الآخرة .

١١ – إن عمر المختار كان ولياً من أولياء الله تعالى – ولا نزكى على الله أحداً – ، وقد صدقت فيه إشارة الحديث القدسى القائل : « **من آذى لى ولياً فقد آذنته**

بالحرب » ، وقد صدق الله وعده ، ودمر إيطاليا كلها ، وفعل بها الأفاعيل ، ونكل بقادتها شر نكال ، جزاء ما فعلوه مع عمر المختار .

١٢ - إن قوة الإرادة وقوة العزيمة ، واستمرار الصبر والمثابرة من وسائل أصحاب الرأى الحر ، والفكر المستنير المستقل فى تحقيق أهدافهم .

١٣ - إن الله يعطى كل إنسان قوة على حسب نيته ، ويمده بمدد من عنده متى كان متمسكاً بدينه ، صادقاً مع الله صادقاً مع نفسه ، صادقاً مع الناس ، صادقاً مع وطنه صاحب الفضل عليه .

١٤ - إن النفس المؤمنة تستهين بكل ما فى الدنيا ، وتبتغى دائماً رضاء الله تعالى ، فلا يغريها مال ، ولا يخدعها منصب ولا جاه ؛ لأنها تعتقد أن كل ما فوق التراب تراب .

١٥ - إن من علامات العظماء المؤمنين الخالدين أن الناس يشعرون دائماً أنهم لم يوفوهم حقهم من التقدير مهما كتبوا عن سيرتهم وتاريخهم وشخصيتهم ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .





بعد استشهـاده

من يخلفـه ؟! :

كان مع السيد عمر المختار رجال من رؤساء القبائل يديرون معه شئون القتال وأمور المجاهدين ، وفى مقدمة هؤلاء الشيخ « **يوسف بورحيل المسمارى** » والشيخ « **عبد الحميد العبار** » .

وقد اجتمع رؤساء الجند وأعيان المجاهدين بعد موت السيد عمر المختار ، وتشاوروا فى مَن يخلفه فى الزعامة ، فاتفقت كلمتهم على أن يخلفه فى زعامته الشيخ « **يوسف بورحيل المسمارى** » .

وقد قبل الشيخ يوسف ما كلف به ، ونهض لتكميل ذلك البناء الذى أسس قواعده السيد عمر المختار ، والتف حوله أولئك الأشبال الذين كانوا يلتفون معه بالسيد عمر المختار .

تجدد القتال بقيادة الشيخ يوسف بورحيل :

ورأى العدو أن ردم قناة المجاهدين بعد موت السيد عمر أصبح ميسوراً له ، فضاعف قوته ، ووالى هجماته بكل ما عنده من أنواع السلاح ، ودافع المجاهدون عن أنفسهم دفاع المستميت ، وانقضت أربعة أشهر بعد موت السيد عمر ، ولم ينقطع فيها القتال يوماً واحداً .

سوء حالة المجاهدين الصحية ! :

ولكن انضم إلى قوة الطليان قوة أخرى لا تمكن مقاومتها ، تلك هى قوة الجـوع ، فإن سد المسالك على المجاهدين ، وقطع الصلة بينهم وبين جميع العالم أثر فيهم تأثيراً سيئاً من جهة الجوع ، فكنت ترى الرجل واقفاً أو ماشياً ، ثم لا يلبث أن تعتريه دوخة

من شدة الجوع وإذا به ملقى على الأرض ، فلم تمض أربعة أشهر على قتل السيد عمر حتى اشتدت بهم المجاعة ، وعجزوا عن الدفاع .

يأس وتفرق :

ففرر من بقى منهم الالتجاء إلى مصر ، فسار الشيخ عبد الحميد العيار ، والشيخ يوسف بورحيل ، وعثمان أفندى الشامى فى نفر من المجاهدين من ناحية الجنوب ، وذهب كثير من المجاهدين من ناحية الشمال ، ووجهة الجميع الحدود المصرية ، وبعد ثلاثة أيام فارقهم عثمان أفندى الشامى بقصد الاستسلام للطليان ، فسلم نفسه فى « عين الغزالة » يوم ٦ من شعبان عام ١٣٥٠ هـ ، وبقى كثير من المجاهدين بالجبل الأخضر آيسين من حياتهم ، ومنتظرين الموت إما بالجوع أو برصاص العدو .

وقد بلغ الطليان أن رؤساء المجاهدين غادروا الجبل إلى الحدود المصرية ، ولم يتحققوا هذا الخبر إلا فى أول يوم من شعبان سنة ١٣٥٠ هـ ، إذ تمكنوا من أسر محمد خير الله رئيس فرقة العبيد وهو متجه إلى مصر ، فعلموا منه صدق الخبر ، فحشدوا قوة كبيرة على الحدود المصرية ، ممتدة مع الأسلاك الشائكة ، وبين كل جندى وآخر مائتا متر ، ومعها عدد كبير من السيارات المدرعة ، وظلوا يترصدون قدوم المجاهدين إلى ليلة ٤ منه .

وفى هذه الليلة وصل قسم من المجاهدين إلى الحدود ، من بينهم الشيخ يوسف بورحيل ، فاعترضهم الإيطاليون وحصلت بين الفريقين معركة ، وحاول المجاهدون أثناءها اجتياز الأسلاك الشائكة ، ولكن كثرة الجنود الإيطالية حالت دون ذلك ، فاضطر الشيخ عبد الحميد العبار إلى الرجوع ناحية الجبل فى نفر من المجاهدين ، وبقى الشيخ يوسف بورحيل منتظراً غفلة العسس الإيطالى ليجتاز الحدود .

ولكنه عثر عليه يوم ٩ من شعبان عام ١٣٥٠ هـ فى أربعة من أصحابه ، فتركوا خيولهم وتحصنوا بمغارة ، ودافعوا عن أنفسهم حتى قتلوا أربعتهم عليهم رحمة الله .

وقد أعجب الإيطاليون ببسالة الشيخ يوسف بورحيل فقالوا فى بلاغهم ما نصه : « وقد أظهر يوسف بورحيل ورفقاؤه الثلاثة بسالة مدهشة حتى آخر دقيقة من حياتهم ، وعندما سكت البارود من جهة المغارة تقدم نحوها التننتى بريبلدزى فوجد فيها أربع جثث ، لم تزل البنادق حامية فى قبضة اليد . وهكذا انتهت حياة الرئيس العظيم البرقاوى ، أحد تلاميذ مدرسة جغبوب القرآنية ، ومستشار عمر المختار » .

وهذه شهادة من الطليان بشهامة الشيخ يوسف بورحيل ، وحسن بلائه فيهم إلى آخر لحظة من حياته .

أما الشيخ عبد الحميد العبار فقد عاد مرة ثانية إلى الحدود فى نفر نحو الخمسين رجلاً ، واجتاز بهم الأسلاك الشائكة ، ودخلوا الحدود المصرية فى منتصف شهر شعبان سنة ١٣٥٠ هـ ، لا بواسطة وضع الخيام على الأسلاك الشائكة كما يقول البلاغ الإيطالى ، ولكن بواسطة مقصات كانت معهم معدة لقطع الأسلاك ، ولكن البلاغ الإيطالى أخفى هذه الحقيقة ، وخاف كاتبه أن يذكر أن لدى المجاهدين مقصات فيظن أن لديهم مدافع وبنادق ومترليوزات من أحدث طراز من السلاح الإيطالى ، وهو مما غنمه المجاهدون فى ميادين القتال ، فتسوءه هذه الذكرى المؤلمة .





فرق بين نهايتين

اطمأنت الامبراطورية الإيطالية إلى سلطانها ، وخضعت لها الأقطار الليبية من أقصاها إلى أقصاها ، وذلك بعد استشهاد عمر المختار عام ١٩٣١ ، وحتى عام ١٩٤٢ م .

عاشت ليبيا أحد عشر عاماً من اليأس المطلق الذى لا يبشر بأى أمل ، مفرقة الأهل ، مفزعة الوجدان ، دامية الماضى ، مظلمة الحاضر ، حالكة المستقبل .

أمير البلاد الشرعى السيد محمد إدريس المهدى السنوسى فى مهجره فى مصر ، وأهل الحل والعقد الليبيون بعيدون عن البلاد ، ونصف الشعب أو يزيد أهلكوا ، أو أخرجوا من ديارهم ظلماً وعدواناً ، والبقية الباقية مستضعفة فى بلادها ، لا حول لها ولا قوة .

و« **جرازيانى** » يفتخر كبراً ، ويختال على أرض ليبيا يمنة ويسرة حيث شاء ، لا ضمير يؤنبه ، ولا مجاهد يهدده ، ولا شعب يتوعده .

ثم جاء بعده الماريشال العجوز « **بالبو** » ، ليتم قصة إفناء الشعب الليبى ، ويسلم أرض الليبيين إلى رقاع الطليان ، لا حياء يمنعه ، ولا خوف يردعه ، ولا ضمير يوقظه ، ولا سلاح يوقفه .

ليــل هنا وليــل هناك ، ويأس هنا ويأس هناك ... وبلغ الطليان أعلى مراتب العزة ، وبلغ الليبيون أسفل مراتب الذلة .

شمس الحرية تشرق على ليبيا من جديد ! :

حينئذ ، عندما يشتد الضيق ، ويبلغ اليأس أقصى مداه فى النفوس ، يأتى الفرج ، فينزل النصر ، وينتقم القدر ، ويحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره الكافرون .

وكانت قصة النصر الذى أنزله الله على شعب ليبيا المكافح قصة غريبة ، يجب

على الناس جميعاً أن يعلموها ؛ ليطمئنوا إلى عدل الله المنتقم الجبار .

وهذه هي القصة :

بدأت الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر عام ١٩٣٩ م ، وحرصت إيطاليا أول الأمر على عدم دخولها فيها ، حتى إذا رأت فرنسا تنهار على أثر الزحف الألمانى الخاطف عليها أعلنت إيطاليا الحرب على إنجلترا وفرنسا فى ١٠ من يونيو عام ١٩٤٠ م .

وهذه أولى خطوات القدر الذى رسم حطته نحوها ، وبدأت بداية نهاية الامبراطورية الإيطالية .

خيبة ظن إيطاليا !:

دخلت إيطاليا الحرب بقيادة زعيمها موسولينى طمعاً فى الغنائم ، وكانت توقن أن الأرض قد خضعت لحليفتها ألمانيا ، فأخلف الله ظنها ، وأحاطها بتدبير محكم أدى إلى زوالها نهائياً من الوجود ، كإمبراطورية صاحبة مستعمرات ، بل كدولة لها كرامة وعزة ، وأصبحت ذيلاً لا وزن له فى السياسة الدولية .

جزاء الله العادل ! :

واندحرت إيطاليا باندحار ألمانيا فى شمال إفريقية ، ففى السابع من فبراير عام ١٩٤٣ م كانت جيوش روميل الألمانية المنهزمة قد أخلت القطر الطرابلسى بأجمعه .

وكانت فرحة عظيمة شاملة ، عمت القلوب ، وشرحت الصدور ، وعبر عنها أمير البلاد بقوله : « **إنى أحمد الله الذى جعلنى أشهد خروج هؤلاء الطليان الظالمين من بلادنا** » .

وتدفق الليبيون إلى بلادهم التى ترعرعوا فيها ، ونشئوا بين أحضانها ، ثم أخرجوا منها ظلماً وزوراً .. ثم عاد الأمير إلى بلاده منصوراً ، وجلس على عرشها ملكاً عزيزاً .

وأصبحت البلاد حرة تدير شئونها بنفسها ، وتقرر ما تشاء وفق مصلحتها ، وترسم مستقبلها حسب ما تتمناه ، من رقى وحضارة ، وتقدم فى مجالات الحياة المختلفة .

وهكذا استدار الزمان ، وانتقم الديان ، ونزل العار بالطليان الذين أرادوا إبادة الليبيين فأبيدوا هم ، ورجعوا بالفشل والخسران ، وبقيت ليبيا لليبيين عزيزة مكرمة ، مرفوعة الرأس ، شامخة البنيان .

لقد أعدم « **جرازيانى** » عمر المختار ، فكان إعدامه نذيراً له ولمن عاونه ، وذهب

جرازيانى ولم يعد له ذكر ، وبقى عمر المختار علماً للأحرار ، ورمزاً للنضال ، وقصة يتحدث بها الزمان ، وقدوة للأبناء ، فاحتل مكانة الزعامة حيًّا وميّتًا ...

وستظل ذكراه ترددها الأيام والأجيال رغمَ أنف الطليان ... وهذا هو شأن الأبطال المؤمنين الخالدين .

﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ﴾

كلمات تقدير لعمر المختار

١ – لقد صدق الله سبحانه وتعالى حين قال :

﴿ ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين * ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ﴾ [الأنفال : ٧ – ٨]

٢ – وصدق الله سبحانه وتعالى حين قال :

﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾ [الإسراء : ٨١]

٣ – وقد رثاه شاعر الشباب التونسى السيد محمود أبو رقيبة فقال :

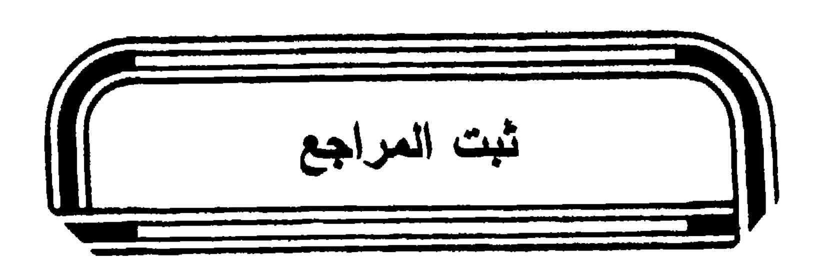
مضى عمرُ المختارُ لله رافلاً ... بثوبٍ نقىٍّ حِيكَ من خالص الطُّهر
مضى عمرُ المختارُ لله بعد ما ... قضى الواجب الأسمى بأعلى ذُرى الفخر
مضى عمرُ المختار لله هاتفًا ... سيداً شهيداً وانطوت صفحة العمر
مخلفة للعالمين مآثراً ... هى الغرر البيضاء فى جبهة الدهر
ومن دمه المسفوك سطر آية ... سيحفظها التاريخ بالحمد والشكر

٤ – وقد رثاه أمير الشعراء أحمد شوقى فقال :

يأيها السيف المجرد بالفلا ... يكسو السيوف عنى الزمان مضاء
تلك الصحارى غِمد كل مهند ... أبلى فأحسن فى العدو بلاء

الأسكندرية

الجمعة : ١٧ من شعبان عام ١٤١٢ هـ
الموافق ٢١ من فبراير عام ١٩٩٢ م



ثبت المراجع

١ – الدولة العربية الكبرى — للأستاذ محمود كامل

٢ – ثورات العرب فى القرن العشرين — للأستاذ أمين سعيد

٣ – عمر المختار — للأستاذ محمود شلبى

٤ – عمر المختار — للأستاذ محمد الشراباتى

٥ – عمر المختار — للأستاذ أحمد محمود



الفهـرس

رقم الإيداع ٩٠٥٦ ــ ٩٢



وكلاء التوزيع

السعودية

مكتبة الساعي

الرياض : ت ٤٣٥٢٧٦٨ فاكس ٤٣٥٥٩٤٥ فرع جدة ت ٦٥٣٢٠٨٩
القصيم - بريدة : ت ٣٢٣١٤٣٤ - المدينة المنورة - ت ٨٢٤٢٧٧٥
ص.ب : ٥٠٦٤٩ - ١١٥٣٣ الرياض

كنوز المعرفة

جدة ت ٦٥١٠٤٢١ فاكس ٦٤٤٢٢٧٣ ص.ب : ٣٠٧٤٦ جدة ٢١٤٨٧

المغرب

دار المعرفة

40 شارع فيكتور هيكو - الدار البيضاء
ص.ب : 4150 ☎ 300567 - 309520

المكتبة السلفية

12 حي الداخلة - زنقة الإمام القسطلاني - الدار البيضاء
☎ 307643

الإمارات

دار الفضيلة

دبي - ديرة - ص.ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦

البحرين

دار الحكمة

ص.ب : ٢٣٨٧٥ هاتف ٣٣٦٠٣٢

03

الأهرام AL-AHRAM